تفسير سورة النبأ

وهى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝ ﴾

الجزء ٣٠

يقول تعالى منكراً على المشركين فى تساؤلهم عن يوم القيامة إنكاراً لوقوعها : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ أى : عن اى شىء يتساءلون ؟ عن أمر القيامة ، وهو النبأ العظيم ، يعنى : الخبر الهائل المفظع الباهر . قال قتادة ، وابن زيد : النبأ العظيم : البعث بعد الموت . وقال مجاهد : هو القرآن . والأظهر الأول لقوله: ﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ يعنى: الناس فيه على قولين: مؤمن به وكافر . ثم قال تعالى متوعداً لمنكرى القيامة : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ ، وهذا تهديدٌ شديد ووعيد أكيد . ثم شرع تعالى يُبَيِّن قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة ، الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره ، فقال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ ؟ أى : ممهدة للخلائق ذَلُولا لهم ، قارّةً ساكنة ثابتة ، ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ أى : جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبتها وقرّرها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها .

ثم قال: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعنى: ذكراً وانثى، يستمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك، كقوله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:٢١].

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ اى : قَطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعى فى المعايش فى عرض النهار . وقد تقدم مثل هذه الآية فى سورة « الفرقان » (١) . ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ أى: يغشى الناس ظلامه وسواده، كما قال: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ [الشمس:٤] ، وقال قتادة في قوله : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ أى : سكناً . وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ أى: جعلناه مشرقا مُنيراً مضيئاً ، ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات، وغير ذلك . وقوله : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ يعنى : السموات السبع ، فى اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها ، وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ؛ ولهذا قال : ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ يعنى : الشمس المنيرة على جميع العالم التى يتوهج ضوؤها لأهل الأرض كلهم .

وقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ قال ابن عباس : ﴿ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ : الرياح . وكذا قال

(١) لعله يقصد الآية (٤٧) .

عكرمة، ومجاهد ، وقتادة: إنها الرياح . ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ أى : من السحاب . وكذا قال عكرمة أيضا، وأبو العالية ، والضحاك، والحسن . واختاره ابن جرير . والأظهر أن المراد بالمعصرات: السحاب ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ [الروم:٤٨] أى : من بينه. وقوله: ﴿ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ قال مجاهد، وقتادة ، والربيع ابن أنس: ﴿ ثَجَّاجًا ﴾: منصبا. وقال الثورى : متتابعاً. وقال ابن زيد: كثيرا .قال ابن جرير: ولا يعرف فى كلام العرب فى صفة الكثرة الثج ، وإنما الثج : الصب المتتابع . ومنه قول النبى ﷺ : « أفضلُ الحجّ العجّ والثجّ »[1] . يعنى: صَبّ دماء البُدْن. هكذا قال. قلت: وفى حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ : « انعت لك الكُرسُفَ » ـ يعنى: أن تحتشى بالقطن : قالت: يا رسول الله ، هو أكثر من ذلك ، إنما أثج ثجاً[2] . وهذا فيه دَلالة على استعمال الثَّج فى الصَبّ المتتابع الكثير ، والله أعلم.

وقوله: ﴿ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ أى: لنخرجَ بهذا الماء الكثير الطيب النافع المُبَارَك ﴿حَبًّا﴾ يدخر للأناسى والأنعام ، ﴿ وَنَبَاتًا ﴾ أى : خضراً يؤكل رطبا ، ﴿ وَجَنَّاتٍ ﴾ أى : بساتين وحدائقَ من ثمرات متنوعة ، وألوان مختلفة ، وطعوم وروائح متفاوتة ، وإن كان ذلك فى بقعة واحدة من الأرض مجتمعًا ؛ ولهذا قال: ﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ قال ابن عباس، وغيره : مجتمعة . وهذه كقوله تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد:٤] .

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ۝ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَاءً وِفَاقًا ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ۝ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۝ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝ ﴾

يخبر تعالى عن يوم الفصل ، وهو يوم القيامة ، أنه مؤقت بأجل معدود ، لا يزاد عليه ولا ينقص منه ، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل ، كما قال : ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴾ [هود:١٠٤] . ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ قال مجاهد : زُمَراً زمراً . قال ابن جرير : يعنى تأتى كل أمة مع رسولها ، كقوله : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ [الإسراء:٣١]. وقال البخارى:﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾: عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ما بين النفختين أربعون ». قالوا : أربعون يوماً ؟ قال : « أبيتُ » . قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : « أبيت » . قالوا : أربعون سنة ؟ قال : « أبيت ».قال : « ثم يُنزلُ الله من السماء ماء فينبتُونَ كما ينبتُ البقلُ ، ليس من الإنسان شىءٌ

---

(١) ابن جرير فى التفسير (٣٠ / ٥) . والحديث رواه الترمذى (٨٢٧) وابن ماجه (٢٩٢٤) وصححه الألبانى .

(٢) المسند (٦ / ٤٣٩) وأبو داود (٢٨٧) والترمذى (١٢٨) وقال : « حسن صحيح » .

إلا يَبلَى، إلا عظماً واحدا ، وهو عَجْبُ الذنَب ، ومنه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القيامة » (١) .

﴿ وفُتحت السَّماءُ فكانت أبوابا ﴾ أى: طرقا ومسالك لنزول الملائكة، ﴿ وسُيِّرت الجبالُ فكانت سَرابا ﴾ ، كقوله : ﴿ وترى الجبالَ تحسبها جامدةً وهى تمرُّ مرَّ السَّحاب ﴾ [النمل:٨٨] ، وكقوله : ﴿وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ المَنفُوشِ ﴾ [القارعة:٥] . وقال هاهنا : ﴿ فكانت سَرابا ﴾ أى : يخيل إلى الناظر أنها شىء ، وليست بشىء ، وبعد هذا تَذهب بالكلية، فلا عين ولا أثر ، كما قال : ﴿ ويَسألونك عنِ الجبالِ فقُلْ ينسِفُها ربِّى نَسْفا. فيَذرُها قاعا صفصفا . لا ترَى فيها عِوَجا ولا أمْتا ﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧] ، وقال : ﴿ ويومَ نُسيِّرُ الجبالَ وترَى الأرضَ بارِزةً ﴾ [الكهف:٤٧] .

وقوله : ﴿ إنَّ جهنَّمَ كانتْ مِرْصادا ﴾ أى : مرصدة مُعَدّة ، ﴿ للطَّاغينَ ﴾ وهم : المَرَدة العصاة المخالفون للرسل، ﴿ مآبا ﴾ أى : مرجعا ومنقلبا ومصيرا ونُزُلا. وقال الحسن، وقتادة فى قوله : ﴿ إنَّ جهنَّمَ كانتْ مِرْصادا ﴾ يعنى: أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار ، فإن كان معه جواز نجا، وإلا احتبس . وقال سفيان الثورى : عليها ثلاث قناطر . وقوله : ﴿ لابثينَ فيها أحْقابا ﴾ أى : ماكثين فيها أحقابا ، وهى جمع « حُقُب » ، وهو : المدة من الزمان . وقد اختلفوا فى مقداره ، فقال ابن جرير : قال على بن أبى طالب لهلال الهَجَرى : ما تجدونَ الحُقُبَ فى كتاب الله المنزل ؟ قال : نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهرا ، كل شهر ثلاثون يوما ، كل يوم ألف سنة (٢) . وهكذا رُوىَ عن أبى هُرَيرة، وعبد الله بن عَمرو، وابن عباس ، وسعيد بن جُبَير ، وعَمرو بن ميمون ، والحسن ، وقتادة، والربيع بن أنس ، والضحاك . وعن الحسن والسّدى أيضا : سبعون سنة كذلك . وعن عبد الله بن عمرو : الحُقُبُ أربعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون .وقال السّدى : ﴿ لابثينَ فيها أحْقابا ﴾: سبعمائة حُقُب ، كل حُقُب سبعون سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً ، كل يوم كألف سنة مما تعدون. وقد قال مقاتل بن حيّان : إن هذه الآية منسوخة بقوله : ﴿ فذُوقُوا فلن نَّزيدَكُمْ إلاَّ عذابا ﴾ .وقال خالد بن مَعْدان: هذه الآية وقوله : ﴿ إلاَّ ما شاءَ ربُّكَ ﴾ [هود:١٠٧] فى أهل التوحيد . رواهما ابن جرير. ثم قال : يحتمل أن يكون قوله : ﴿ لابثينَ فيها أحْقابا ﴾ متعلقاً بقوله : ﴿ لا يذُوقُونَ فيها بَرْدا ولا شَرابا ﴾ ، ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر . ثم قال : والصحيح أنها لا انقضاء لها، كما قال قتادة والربيع بن أنس .

وقوله : ﴿ لا يذُوقُونَ فيها بَرْدا ولا شَرابا ﴾ أى : لا يجدون فى جَهنَّم برداً لقلوبهم ، ولا شرابا طيبا يتغذون به . ولهذا قال ﴿ إلاَّ حَميما وغَسَّاقا ﴾ قال أبو العالية : استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق. وكذا قال الربيع بن أنس . فأما الحميم : فهو الحار الذى قد انتهى حره وحُموه . والغَسَّاق : هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم ، فهو بارد لا يستطاع من برده ، ولا يواجه من نتنه . وقد قدمنا الكلام على الغساق فى سورة « ص » (٣) بما أغنى عن إعادته ، أجارنا الله من ذلك ، بمنه وكرمه قال ابن جرير : وقيل : المراد بقوله: ﴿ لا يذُوقُونَ فيها بَرْدا ﴾ يعنى : النوم .

وقوله : ﴿ جَزَاءً وِفاقا ﴾ أى : هذا الذى صاروا إليه من هذه العقوبة وَفق أعمالهم الفاسدة التى

---

(١) البخارى (٤٩٣٥).

(٢) ابن جرير فى التفسير (٣٠ / ٨) .

(٣) راجع الآية (٥٧) .

كانوا يعملونها فى الدنيا . قاله مجاهد ، وقتادة ، وغير واحد . ثم قال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ أى:لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون ، ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴾ أى : وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التى أنزلها على رسله ، فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة . وقوله : ﴿ كِذَّابًا ﴾ أى : تكذيبا ، وهو مصدر من غير الفعل . قالوا : وقد سُمع أعرابى يستفتى الفَرّاءَ على المروة : الحلقُ أحبّ إليك أو القصار ؟

وقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ أى : وقد عَلِمنا أعمالَ العباد كلهم ، وكتبناها عليهم، وسنجزيهم على ذلك ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . وقوله : ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ أى : يقال لأهل النار : ذوقوا ما أنتم فيه ، فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه ، ﴿ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [ص:٥٨] . عن عبد الله بن عمرو قال : لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه : ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ . قال : فهم فى مزيد من العذاب أبدا .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ۝ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۝ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم ، فقال : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ قال ابن عباس والضحاك : متنزها . وقال مجاهد ، وقتادة : فازوا ، فنجوا من النار. والأظهر هاهنا قولُ ابن عباس؛ لأنه قال بعده: ﴿ حدائق ﴾ ،وهى البساتين من النخيل وغيرها ﴿وأعنابًا. وكواعب أترابًا ﴾ أى: حوراً كواعب. قال ابن عباس ومجاهد ،وغير واحد: ﴿كواعب﴾ أى: نواهد، يعنون أن ثُدِيَّهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار عُرُب أتراب، أى: فى سن واحدة ، كما تقدم بيانه فى سورة « الواقعة » .

وقوله: ﴿ وكأسا دهاقا ﴾ قال ابن عباس: مملوءة متتابعة. وقال عكرمة: صافية. وقال مجاهد ، والحسن وقتادة ، وابن زيد : ﴿ دهاقا ﴾ : الملأى المترعة . وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير : هى المتتابعة. وقوله : ﴿ لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ﴾ ، كقوله : ﴿ لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ ﴾ [الطور:٢٣] أى: ليس فيها كلام لاغٍ عارٍ عن الفائدة، ولا إثم كذب، بل هى دار السلام ، وكل كلام فيها سالم من النقص . وقوله : ﴿ جزاءً من ربك عطاءً حسابا ﴾ أى :هذا الذى ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه ، بفضله ومنّه وإحسانه ورحمته ؛ ﴿ عطاءً حسابا ﴾ أى : كافياً وافراً شاملاً كثيراً ؛ تقول العرب : «أعطانى فأحسبنى » أى : كفانى . ومنه « حسبى الله » ، أى : الله كافىّ .

﴿ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ۝ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ۝ ﴾

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله ، وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، وأنه الرحمن الذى شملت رحمته كل شىء . وقوله : ﴿ لا يملكون منه خطابا ﴾ أى : لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه ، كقوله : ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة:٢٥٥] ، وكقوله : ﴿ يوم يأت لا تكلم

نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [هود:١٠٥] .

وقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ ﴾ : اختلف المفسرون فى المراد بالروح هاهنا، ما هو ؟ على أقوال : أحدها : رواه العوفى ، عن ابن عباس : أنهم أرواح بنى آدم . الثانى : هم بنو آدم. قاله الحسن ، وقتادة ، وقال قتادة : هذا مما كان ابن عباس يكتمه . الثالث : أنهم خَلق من خلق الله ، على صُور بنى آدم ، وليسوا بملائكة ولا ببشر ، وهم يأكلون ويشربون . قاله ابن عباس ، ومجاهد، وأبو صالح والأعمش. الرابع : هو جبريل . قاله الشعبى ، وسعيد بن جبير ، والضحاك. ويستشهد لهذا القول بقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء:١٩٣، ١٩٤] . وقال مقاتل بن حيان : الروح : أشرف الملائكة ، وأقرب إلى الرب عز وجل ، وصاحب الوحى . والخامس: أنه القرآن. قاله ابن زيد ، كقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ الآية [الشورى:٥٢] . والسادس : أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات ؛ قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس: قوله: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ ﴾ ، قال : هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً . وتَوَقَّفَ ابنُ جرير فلم يقطَع بواحد من هذه الأقوال كلها ، والأشبه ـ والله أعلم ـ أنهم بنو آدم .

وقوله : ﴿ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾ ، كقوله : ﴿ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [هود:١٠٥] . وكما ثبت فى الصحيح: «ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل» (١). وقوله: ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ أى: حقا، ومن الحق: «لا إله إلا الله » ، كما قاله أبو صالح،وعكرمة . وقوله : ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ أى : الكائن لا محالة ، ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ﴾ أى : مرجعا وطريقا يهتدى إليه ومنهجا يمر به عليه .

وقوله: ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ يعنى: يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا، لأن كل ما هو آت آت . ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ أى: يعرض عليه جميع أعماله، خيرها وشرها ، قديمها وحديثها، كقوله: ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ [الكهف:٤٩]، وكقوله: ﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة:١٣]. ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ أى : يود الكافر يومئذ أنه كان فى الدار الدنيا ترابا ، ولم يكن خُلِقَ، ولا خرج إلى الوجود. وذلك حين عاين عذاب الله ، ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سُطِّرت عليه بأيدى الملائكة السَّفَرة الكرام البَرَرة . وقيل : إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التى كانت فى الدنيا، فيفصل بينها بحكمه العدل الذى لا يجور ،حتى إنه ليقتص للشاة الجمَّاء من القرناء . فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها : كونى ترابا ، فتصير ترابا . فعند ذلك يقول الكافر : ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ أى : كنت حيوانا فأرجع إلى التراب . وقد ورد معنى هذا فى حديث الصّور المشهور (٢).

---

(١)البخارى (٨٠٦) ، ومسلم (١٨٢ / ٢٦٩) .

(٢)مضى عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأنعام ،وكذلك تخريجه هناك .

تفسير سورة النازعات

وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ۝ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝ ﴾

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، وسعيد بن جبير: ﴿ النَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ : الملائكة ، يعنون حين تنزع أرواح بنى آدم ، فمنهم من تأخذ روحه بعُنف فتُغرق فى نزعها ، ومنهم مَن تأخذ روحه بسهولة وكأنما حَلَّته من نشاط ، وهو قوله : ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴾ قاله ابن عباس .

وعن ابن عباس : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ﴾ : هى أنفس الكفار ، تُنزَع ثم تُنشَط ، ثم تغرق فى النار . رواه ابن أبى حاتم . وقال مجاهد : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ : الموت . وقال الحسن ، وقتادة : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴾ : هى النجوم . وقال عَطَاءُ بنُ أبى رَبَاح فى قوله : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ﴾ و ﴿ النَّاشِطَاتِ ﴾ : هى القسىّ فى القتال . والصحيح الأول ، وعليه الأكثرون .

وأما قوله: ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾، فقال ابن مسعود : هى الملائكة . ورُوى عن على ، ومجاهد ، وسعيد بن جُبَير مثلُ ذلك . وعن مجاهد : ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾ : الموت . وقال قتادة : هى النجوم. وقال عطاء بن أبى رباح : هى السفن . وقوله : ﴿ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾: رُوى عن على ، ومسروق ، ومجاهد: يعنى الملائكة؛ قال الحسن: سبقت إلى الإيمان والتصديق به . وعن مجاهد : الموت . وقال قتادة : هى النجوم . وقال عطاء : هى الخيل فى سبيل الله . وقوله : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ قال على ، ومجاهد ، وعطاء: هى الملائكة ، زاد الحسن : تدبر الأمر من السماء إلى الأرض. يعنى: بأمر ربها عز وجل . ولم يختلفوا فى هذا ، ولم يقطع ابن جرير بالمراد فى شىء من ذلك ، إلا أنه حكى فى ﴿الْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ : أنها الملائكة ، ولا أثبت ولا نفى .

وقوله : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ قال ابن عباس: هما النفختان الأولى والثانية. وهكذا قال مجاهد ، والحسن ، وقتادة ،وغير واحد . وعن مجاهد : أما الأولى ـ وهى قوله : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ ـ فكقوله جلت عظمته : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾ [المزمل:١٤] ، والثانية ـ وهى الرادفة ـ فهى كقوله : ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الحاقة:١٤] . وقد روى الإمام أحمد عن أبى بن كعب، قال : قال رسول الله ﷺ : « جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » . فقال رجل : يا رسول الله ، أرأيت إن جعلت صلاتى كلها عليك ؟ قال : «إذاً يكفيك الله ما أهَمَّك من دنياك وآخرتك ». وقد رواه الترمذى ، وابن جرير، ولفظ الترمذى: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا

الليل قام فقال: « يا أيها الناس، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه »(١).

وقوله: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ قال ابن عباس: يعنى خائفة. وكذا قال مجاهد ، وقتادة. ﴿ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ أى: أبصار أصحابها. وإنما أضيف إليها؛ للملابسة، أى: ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال .

وقوله : ﴿ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ ؟ يعنى : مشركى قريش ومن قال بقولهم فى إنكار المعاد ، يستبعدون وقوعَ البعث بعد المصير إلى الحافرة ، وهى القبور ، قاله مجاهد . وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ؛ ولهذا قالوا : ﴿ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴾ ؟ وقرئ : « ناخرة ». وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة : أى بالية . قال ابن عباس : وهو العظم إذا بلى ودَخَلت الريح فيه ﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ .وعن ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير: الحافرة : الحياة بعد الموت. وقال ابن زيد : الحافرة : النار. وما أكثر أسماءها ! هى النار، والجحيم ،وسقر ،وجهنم، والهاوية ، والحافرة، ولظى، والحُطَمة . وأما قولهم : ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ ، فقال محمد بن كعب: قالت قريش : لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن .

قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ أى : فإنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد ، فإذا الناس قيام ينظرون ، وهو أن يأمر تعالى إسرافيلَ فينفخ فى الصور نفخَةَ البعث ، فإذا الأولون والآخرون قيامٌ بين يَدَى الربّ عز وجل ينظرون ، كما قال : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر:٥٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [النحل:٧٧]. قال مجاهد : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ : صيحة واحدة . وقال الحسن البصرى : زجرة من الغضب . وقال أبو مالك ، والربيع بن أنس : زجرة واحدة : هى النفخة الآخرة .

وقوله : ﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ قال ابن عباس : ﴿ السَّاهِرَةِ ﴾ : الأرض كلها . وكذا قال سعيد بن جُبَير ، وقتادة . وقال عكرمة ، والحسن ، والضحاك ، وابن زيد : ﴿ السَّاهِرَةِ ﴾ : وجه الأرض . وقال مجاهد : كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها . قال : و ﴿السَّاهِرَةِ ﴾ : المكان المستوى . وقال الربيع بن أنس : ﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ ، يقول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم:٤٨] ، ويقول : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا . فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [طه:١٠٥،١٠٦] . وقال: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف:٤٧]: وبرزت الأرض التى عليها الجبال ، وهى لا تعد من هذه الأرض ، وهى أرض لم يعمل عليها خطيئة ، ولم يهراق عليها دم .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۝ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۝ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ ﴾

(١) المسند (٥ / ١٣٦) والترمذى (٢٤٥٧) ، وابن جرير فى التفسير (٣٠ / ٢١) وقال الترمذى : «حسن صحيح» .

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ عن عبده ورسوله موسى ، عليه السلام ، أنه ابتعثه إلى فرعون، وأيده بالمعجزات ، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه ، حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر . وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ؛ ولهذا قال في آخر القصة: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ .

فقوله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ ؟ أي: هل سمعت بخبره ؟ ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ ﴾ أي: كلمه نداء، ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴾ أي : المطهر ، ﴿ طُوًى ﴾ : وهو اسم الوادي على الصحيح ، كما تقدم في سورة «طه» . فقال له : ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ أي : تجبر وتمرد وعتا ، ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ ؟ أي : قل له: هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تَزَكَّى به ، أي : تسلم وتطيع. ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي : أدلك إلى عبادة ربك ، ﴿ فَتَخْشَىٰ ﴾ أي : فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشياً بعد ما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير . ﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ يعني : فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية، ودليلا واضحا على صدق ما جاءه به من عند الله ، ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾ أي: فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة . وحاصلُه أنه كفَرَ قلبُه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره ، وعلمُهُ بأن ما جاء به حق لا يلزم منه أنه مؤمن به ؛ لأن المعرفة علمُ القلب ، والإيمان عمله ،وهو الانقياد للحق والخضوع له .

وقوله : ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾ أي : في مقابلة الحق بالباطل ، وهو جَمعُهُ السحرةَ ليقابلوا ما جاء به موسى ، عليه السلام ، من المعجزة الباهرة ، ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾ أي : في قومه، ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾.

قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾ أي : انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا ، ﴿ وَبِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ [هود : ٩٩] ، كما قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [القصص:٤١] . هذا هو الصحيح في معنى الآية، أن المراد بقوله :﴿ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ أي : الدنيا والآخرة ، وقيل : المراد بذلك كلمتاه الأولى والثانية . وقيل : كفره وعصيانه . والصحيح الذي لا شك فيه الأول . وقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ أي: لمن يتعظ وينزجر .

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾

يقول تعالى محتجاً على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه : ﴿ أَأَنتُمْ ﴾ أيها الناس ﴿ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ﴾ ؟ يعني: بل السماءُ أشدّ خلقاً منكم ، كما قال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر:٥٧] ، وقال : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس:٨١] ، فقوله : ﴿ بَنَاهَا ﴾، فسره بقوله:﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ أي :جعلها عالية البناء، بعيدة الفناء ، مستوية الأرجاء ،مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء.

وقوله : ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ أي . جعل ليلها مظلماً أسود حالكا ،ونهارها مضيئا مشرقا نيرا واضحا . قال ابن عباس : أغطش ليلها : أظلمه . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد

ابن جبير، وجماعة كثيرون. ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ أي: أنار نهارها. وقوله: ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾، فسره بقوله: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾. وقد تقدم في سورة « حم السجدة »[1] أن الأرض خلقت قبل السماء، ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل. وهذا معنى قول ابن عباس، وغير واحد، واختاره ابن جرير. وقوله: ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ أي: قررها وأثبتها وأكّدها في أماكنها، وهو الحكيم العليم، الرؤوف بخلقه الرحيم.

وقوله: ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ أي: دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها، لتستقر بأهلها ويقر قرارها، كل ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدةَ احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد، وينقضي الأجل.

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۝ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ۝ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۝ ﴾

يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴾ وهو يوم القيامة. قاله ابن عباس، سميت بذلك لأنها تَطُم على كل أمر هائل مفظع، كما قال تعالى: ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦]. ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴾ أي: حينئذ يتذكرُ ابنُ آدم جميع عمله خيره وشره، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ [الفجر: ٢٣]. ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ أي: أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا، ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ أي: تمرّد وعتا، ﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أي: قدمها على أمر دينه وأخراه، ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ أي: فإن مصيرَه إلى الجحيم، وإن مطعمه من الزقوم، ومشربه من الحميم. ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ أي: خاف القيام بين يدي الله عز وجل، وخاف حُكْمَ الله فيه، ونهى نفسه عن هواها، وردّها إلى طاعة مولاها ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ أي: منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء.

ثم قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا. فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا. إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ أي: ليس علمها إليك ولا إلى أحد من الخلق، بل مَردها ومَرجعها إلى الله عز وجل، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين، ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال هاهنا: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾. ولهذا لما سأل جبريلُ رسولَ الله ﷺ عن وقت الساعة قال: « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل »[2]. وقوله: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾ أي: إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده، اتبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك. وقوله: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ أي: إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مُدّة الحياة الدنيا، حتى كأنها عندهم كانت

---

(١) عند الآية (٩). وهي سورة فصلت.

(٢) جزء من حديث طويل، رواه مسلم (٨ / ١).

عشية من يوم أو ضُحى من يوم . قال جُوَيْبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾، أما ﴿عَشِيَّةً﴾: فما بين الظهر إلى غروب الشمس ، ﴿ أَوْ ضُحَاهَا ﴾ : ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار .

وقال قتادة : وقت الدنيا فى أعين القوم حين عاينوا الآخرة .

obeikandl.com

تفسير سورة عبس

وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ربع ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝ ﴾

ذكر غيرُ واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطبُ بعض عظماء قريش ، وقد طَمع فى إسلامه ، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابنُ أم مكتوم ـ وكان ممن أسلم قديما ـ فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شىء ويلح عليه ، وودّ النبى ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل ؛ طمعا ورغبة فى هدايته . وعَبَس فى وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه ، وأقبل على الآخر ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ . أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ ؟ أى : يحصل له زكاة وطهارة فى نفسه، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾ أى: يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم ، ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ . فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ أى : أما الغنى فأنت تتعرض له لعله يهتدى ، ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ ؟ أى : ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة . ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ . وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾ اى : يقصدك ويؤمك ليهتدى بما تقول له، ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ أى : تتشاغل . ومن هاهنا أمر الله عز وجل رسوله ﷺ الا يخص بالإنذار أحداً ، بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغنى ، والسادة والعبيد ، والرجال والنساء، والصغار والكبار. ثم الله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة . وروى أبو يعلى وابن جرير عن عائشة قالت: أنزلت: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ فى ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول : أرشدنى . قالت : وعند رسول الله ﷺ من عظماء المشركين. قالت : فجعل النبى ﷺ يُعرض عنه ويقبل على الآخر ، ويقول : « أترى بما أقول بأسا ؟» . فيقول: لا . ففى هذا أنزلت : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾. وقد روى الترمذى مثله (١) .

وهكذا ذكر عروة بن الزبير ، ومجاهد ، وأبو مالك ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، وغير واحد من السلف والخلف: أنها نزلت فى ابن أم مكتوم . والمشهور أن اسمه عبد الله ، ويقال: عمرو . والله أعلم .

وقوله : ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ أى : هذه السورة ، أو الوصية بالمساواة بين الناس فى إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم . وقال قتادة والسدى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ يعنى : القرآن ، ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ أى : فمن شاء ذكر الله فى جميع أموره . ويحتمل عود الضمير على الوحى ؛ لدلالة الكلام عليه .

---

(١) أبو يعلى فى المسند (٥ / ٤٣١) وابن جرير فى التفسير (٣٠ / ٣٢) والترمذى (٣٣٣١) ، وصححه الألبانى .

وقوله: ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾ أى: هذه السورة أو العظة، وكلاهما متلازم، بل جميع القرآن ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴾ أى: معظمة موقرة ﴿ مَرْفُوعَةٍ ﴾ أى: عالية القدر، ﴿مُطَهَّرَةٍ ﴾ أى: من الدنس والزيادة والنقص. وقوله: ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد: هى الملائكة. وقال وهب بن منبه: هم أصحاب محمد ﷺ، وقال قتادة: هم القراء. وقال ابن جريج، عن ابن عباس: السفرة بالنبطية: القراء. وقال ابن جرير: الصحيح أن السفرة الملائكة، والسفرة يعنى بين الله وبين خلقه، ومنه يقال: السفير: الذى يسعى بين الناس فى الصلح والخير. وقال البخارى: سَفَرَةٌ: الملائكة. سَفَرت: أصلحت بينهم. وجعلت الملائكةُ إذا نَزَلت بوَحْى الله وتأديته كالسفير الذى يصلح بين القوم [١].

وقوله: ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ أى: خُلقهم كريم حَسَنٌ شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة. ومن هاهنا ينبغى لحامل القرآن أن يكون فى أفعاله وأقواله على السداد والرشاد. روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: « الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السَّفَرَة الكرام البَرَرَة، والذى يقرؤه وهو عليه شاق له أجران ». أخرجه الجماعة [٢].

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝ ﴾

يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بنى آدم: ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ قال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ ﴾: لعن الإنسان. وكذا قال أبو مالك. وهذا لجنس الإنسان المكذب؛ لكثرة تكذيبه بلا مستند، بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم. قال ابن جريج: ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ﴾: ما أشد كفره! وقال ابن جرير: ويحتمل أن يكون المراد: أى شىء جعله كافراً؟ أى: ما حمله على التكذيب بالمعاد. وقال قتادة: ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ﴾: ما العنه.

ثم بين تعالى له كيف خَلَقه الله من الشىء الحقير، وأنه قادر على إعادته كما بدأه، فقال: ﴿ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ. مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ أى: قدر أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد. ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ قال ابن عباس: ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه. وكذا قال عكرمة، والضحاك، وأبو صالح، وقتادة، والسدى، واختاره ابن جرير. وقال مجاهد: هذه كقوله: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ [الإنسان:٣] أى: بيَّناه وأوضحناه وسَهلنا عليه عمله، وهكذا قال الحسن، وابن زيد. وهذا هو الارجح، والله أعلم.

وقوله: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ أى: إنه بعد خلقه له ﴿ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ أى: جعله ذا قبر. والعرب

---

(١) البخارى (٨ / ٦٩١ فتح).

(٢) المسند (٦ / ٤٨) والبخارى (٤٩٣٧) ومسلم (٧٩٨ / ٢٤٤) وأبو داود (١٤٥٤) والترمذى (٢٩٠٤)، والنسائى فى الكبرى (٨٠٤٧) وابن ماجه (٣٧٧٩).

تقول : « قبرتُ الرجل » : إذا وَلى ذلك منه ، وأقبره الله . وعَضبتُ قرن الثور ، وأعضبه الله ، وبترت ذنب البعير وأبتره الله. وقوله : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ أى : بعثه بعد موته ، ومنه يقال : البعث والنشور ، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم:٢٠] ، ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا (١) ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ [البقرة:٢٥٩] . وروى ابن أبى حاتم عن أبى سعيد ، عن النبى ﷺ قال: « يأكل الترابُ كلَّ شىء من الإنسان إلا عَجْبُ ذَنَبِه » . قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : «مثل حبة خردل منه ينشؤون ». وهذا الحديث ثابت فى الصحيح عن أبى هريرة ، بدون هذه الزيادة ، ولفظه : « كل ابن آدم يَبْلى إلا عَجْبُ الذَّنَب ، منه خلق وفيه يُركَّب »(٢) .

وقوله : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ قال ابن جرير : يقول : كلا ، ليس الأمر بقول هذا الإنسان الكافر؛ من أنه قد أدى حق الله عليه فى نفسه وماله ، ﴿ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ يقول : لم يُؤد ما فُرض عليه من الفرائض لربه عز وجل . ثم روى ــ هو وابن أبى حاتم - عن مجاهد قوله : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ قال : لا يقضى أحد أبدا كل ما افتُرض عليه . وحكاه البغوى ، عن الحسن البصرى، بنحو من هذا . ولم أجد للمتقدمين فيه كَلاماً سوى هذا . والذى يقع لى فى معنى ذلك ــ والله أعلم ــ أن المعنى : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ أى : بعثه ، ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ أى : لا يفعله الآن حتى تنقضى المدة،ويفرغ القدر من بنى آدم ممن كتب تعالى له أن سيُوجَدُ منهم،ويخرج إلى الدنيا ، وقد أمر به تعالى كونا وقدرا ، فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم .

وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ فيه امتنان ، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا ، ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ أى : أنزلناه من السماء على الأرض ، ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴾ أى : أسكناه فيها فَدَخل فى تُخُومها وتَخَلَّل فى أجزاء الحب المودَع فيها ،فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض ، ﴿ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴾ فالحب : كل ما يذكر من الحبوب ، والعنب معروف ، والقضب هو : الفِصْفصة التى تأكلها الدواب رطبة . ويقال لها: القَتّ أيضا .قال ذلك ابن عباس ،وقتادة ،والضحاك ، والسدى . وقال الحسن البصرى : القضب: العلف . ﴿ وَزَيْتُونًا ﴾ : وهو معروف ، وهو أدْمٌ وعصيره أدم ، ويستصبح به ، ويدهن به . ﴿ وَنَخْلًا ﴾ يؤكل بلحا بسرا ، ورطبا ، وتمرا ، ونيئا ، ومطبوخا ،ويعتصر منه رُبٌ وخل . ﴿ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴾ أى: بساتين . قال الحسن ، وقتادة : ﴿ غُلْبًا ﴾:نخل غلاظ كرام . وقال ابن عباس ، ومجاهد : «الحدائق» : كل ما التف واجتمع . وقال ابن عباس أيضاً : ﴿ غُلْبًا ﴾: الشجر الذى يستظل به. وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس :﴿ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴾ أى: طوال . وقال عكرمة : ﴿غُلْبًا﴾ أى : غلاظ الأوساط. وفى رواية : غلاظ الرقاب ، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل: والله إنه لأغلب. رواه ابن أبى حاتم .

وقوله : ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ : أما الفاكهة فهو ما يتفكه به من الثمار . قال ابن عباس : الفاكهة : كل ما أكل رطبا . والأبّ : ما أنبتت الأرض ، مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس ــ وفى رواية عنه : هو الحشيش للبهائم . وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك : الأب : الكلأ . وعن مجاهد،

(١)« ننشزها » : بالراء ، وقد تقدم بيان ذلك فى سورة البقرة .
(٢)البخارى (٤٨١٤) ومسلم (٢٩٥٥ / ١٤١) .

والحسن ، وقتادة ، وابن زيد : الأب للبهائم كالفاكهة لبنى آدم . وعن عطاء : كل نبت على وجه الأرض فهو أبٌّ . وقال الضحاك : كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو أبٌّ. وقال أبو السائب : ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام . وقال ابن عباس : الأب : الكلأ والمرعى . وكذا قال مجاهد ، والحسن ، وقتادة، وابن زيد ، وغير واحد . وعن أنس قال : قرأ عمر بن الخطاب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ،فلما أتى على هذه الآية : ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ قال : عرفنا ما الفاكهة ، فما الأب ؟ فقال: لعمرك يا بن الخطاب إن هذا لهو التكلف. فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس به . هو محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه ، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض، لقوله : ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَآئِقَ غُلْبًا . وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ . وقوله : ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ أى : عيشة لكم ولانعامكم فى هذه الدار إلى يوم القيامة .

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝﴾

قال ابن عباس : ﴿الصَّاخَّةُ﴾ : اسم من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحذّره عباده . قال ابن جرير : لعله اسم النفخة فى الصور . وقال البَغَوىّ : ﴿الصَّاخَّةُ﴾ : يعنى صيحة القيامة؛ سميت بذلك لأنها تَصُخّ الأسماع ، أى : تبالغ فى إسماعها حتى تكاد تُصمّها .

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ أى : يراهم ، ويفر منهم ، ويبتعد عنهم؛ لأن الهول عظيم ، والخطب جليل . قال عكرمة : يلقى الرجل زوجته فيقول لها : يا هذه ، أىّ بعل كنتُ لك ؟ فتقول : نعم البعل كنتَ ! وتثنى بخير ما استطاعت ، فيقول لها : فإنى أطلبُ إليك اليومَ حسنةً واحدةً تهبيها لى لعلى أنجو مما ترين . فتقول له : ما أيسر ما طلبتَ ، ولكن لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذى تخاف . قال : وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول : يا بنى ، أىّ والد كنتُ لك ؟ فيثنى بخير . فيقولُ له : يا بنى ، إنى احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلى أنجو بها مما ترى . فيقول ولده : يا أبت ، ما أيسر ما طلبت ، ولكنى أتخوف مثل الذى تتخوف ، فلا أستطيع أن أعطيك شيئا. يقول الله تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ . وفى الحديث الصحيح ـ فى أمر الشفاعة : أنه إذا طلب إلى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله فى الخلائق ، يقول : نفسى نفسى، لا أسأله اليوم إلا نفسى ، حتى إن عيسى ابن مريم يقول : لا أسأله اليومَ إلا نفسى ، لا أسأله مريم التى ولدتنى . ولهذا قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (١). قال قتادة: الأحب فالأحبّ ، والأقرب فالأقربَ ، من هول ذلك اليوم .

وقوله : ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أى : هو فى شُغُل شاغل عن غيره . روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : « تحشرون حفاة عراة مشاة غُرلاً » . قال : فقالت زوجته : يا رسول الله ، أوَ يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال : « ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ». أو

(١) مضت أحاديث الشفاعة عند تفسير أول سورة الإسراء . فانظرها .

قال : « ما أشغله عن النظر ». وعن ابن عباس ، عن النبى ﷺ قال : « تُحشَرون حُفاة عُرَاة غُرْلاً ». فقالت امرأة : أيبصر ـ أو : يرى ـ بعضنا عورة بعض ؟ قال : « يا فلانة ، ﴿ لكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ». ثم قال الترمذى : وهذا حديث حسن صحيح (١). وروى النسائى عن عائشة ،أن رسول الله ﷺ قال:« يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلا » . فقالت عائشة : يا رسول الله ، فكيف بالعورات ؟ فقال : « ﴿ لكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ » (٢). انفرد به النسائى .

وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ أى: يكون الناس هنالك فريقين: وجوه مسفرة، أى: مستنيرة، ﴿ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ أى: مسرورة فرحة من السرور فى قلوبهم، قد ظهر البشر على وجوههم، وهؤلاء هم أهل الجنة. ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ أى : يعلوها ويغشاها قترة، أى : سواد. وقال ابن عباس : ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ أى : يغشاها سواد الوجوه . وقوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ أى: الكفرة قلوبهم ، الفجرة فى أعمالهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٧].

(١) الترمذى (٣٣٣٢) .

(٢) النسائى (٢٠٨٣) ، وصححه الالبانى .

تفسير سورة التكوير

وهى مكية

روى الإمام أحمد :عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأىُ عين فليقرأ: ﴿ إذا الشمسُ كُوِّرَتْ ﴾ ، و ﴿ إذا السماءُ انفطرَتْ ﴾ ،و ﴿ إذا السماءُ انشقَّتْ ﴾» . وهكذا رواه الترمذى[١] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۝ ﴾

قال ابن عباس :﴿ إذا الشمسُ كُوِّرَتْ ﴾ يعنى: أظلمت وعنه : ذهبت ،وقال مجاهد : اضمحلّت وذهبت. وكذا قال الضحاك. وقال قتادة : ذهب ضوؤها . وقال سعيد بن جبير: ﴿ كُوِّرَتْ ﴾ : غُوِّرت . وقال الربيع بن خُثَيم : ﴿ كُوِّرَتْ ﴾ يعنى : رمى بها .وقال زيد بن أسلم : تقع فى الأرض . قال ابن جرير: والصواب من القول عندنا فى ذلك أن التكوير جَمعُ الشىء بعضه إلى بعض، ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض ، فمعنى قوله : ﴿ كُوِّرَتْ ﴾: جمع بعضها إلى بعض ، ثم لفت فرمى بها ، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها . روى البخارى عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ :«الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » . انفرد به البخارى[٢] .

وقوله : ﴿ وإذا النُّجومُ انكَدَرَتْ ﴾ أى: انتثرت ، كما قال تعالى: ﴿ وإذا الكواكبُ انتثرَتْ ﴾ [الانفطار:٢] ،وأصل الانكدار : الانصباب .قال أبى بن كعب : ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ، ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحوش ، فماجوا بعضم فى بعض : ﴿ وإذا الوُحُوشُ حُشِرَت ﴾ قال : اختلطت ، ﴿ وإذا العُشارُ عُطِّلَت ﴾ قال : أهملها أهلها ، ﴿ وإذا البحارُ سُجِّرَت ﴾ قال : قالت الجن : نحن نأتيكم بالخبر . قال : فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجَّجُ ، قال : فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم. رواه ابن جرير [٣] وهكذا قال مجاهد والربيع بن خُثَيم ، والحسن البصرى ، وأبو صالح ، وحماد بن أبى سليمان ، والضحاك فى قوله : ﴿ وإذا النُّجومُ انكَدَرَتْ ﴾ أى : تناثرت .

---

(١) المسند (٤٨٠٦)والترمذى (٣٣٣٣) وقال : «حديث حسن غريب »، وقال الشيخ أحمد شاكر :« إسناده صحيح» .
(٢) البخارى (٣٢٠٠) . (٣) ابن جرير فى التفسير (٣٠/٤١) .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ أى: زالت عن أماكنها ونُسِفت، فتركت الأرض قاعا صفصفا . وقوله : ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ قال عكرمة ، ومجاهد: عشار الإبل .قال مجاهد: ﴿ عُطِّلَتْ ﴾: تركت وسُيِّبت .وقال أبى بن كعب ، والضحاك : أهملها أهلها : وقال الربيع بن خُثَيم: لم تحلب ولم تُصَرّ، تخلى منها أربابها .وقال الضحاك : تركت لا راعى لها .والمعنى فى هذا كله متقارب . والمقصود: أن العشار من الإبل ـ وهى : خيارها والحوامل منها التى قد وَضَلت فى حملها إلى الشهر العاشر ، واحدها: عُشَراء ، ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع ـ قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها ، بعد ما كانوا أرغب شىء فيها ، بما دَهَمهم من الأمر العظيم المُفْظع الهائل ، وهو أمر القيامة وانعقاد أسبابها ، ووقوع مقدماتها . وقيل : بل يكون ذلك يوم القيامة ، يراها أصحابها كذلك ولا سبيل لهم إليها . وقد قيل فى العشار : إنها السحاب يُعطَّل عن المسير بين السماء والأرض ، لخراب الدنيا . وقيل: إنها الأرض التى تُعشَّر . وقيل : إنها الديار التى كانت تسكن، تعطلت لذهاب أهلها . حكى هذه الأقوال كلها الإمام القرطبى ،ورجح أنها الإبل ، وعزاه إلى أكثر الناس.قلت : بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ أى : جمعت . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الانعام:٣٨]. قال ابن عباس : يحشر كل شىء حتى الذباب. رواه ابن أبى حاتم . وكذا قال الربيع بن خُثَيم والسدّى ، وغير واحد. وكذا قال قتادة فى تفسير هذه الآية : إن هذه الخلائق موافية فيقضى الله فيها ما يشاء .وقال عكرمة: حشرها : موتها . وقد تقدم عن أبىّ بن كعب أنه قال : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾: اختلطت .قال ابن جَرير: والأولى قَولُ من قال : ﴿ حُشِرَتْ ﴾ : جُمعت ، قال الله تعالى : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ [ص:١٩] أى: مجموعة .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ قال على لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ قال: البحر . فقال : ما أراه إلا صادقا ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ [الطور:٦] ، ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ .وقال ابن عباس وغير واحد: يرسل الله عليها الدّبور فتسعرها ، وتصير ناراً تأجج ، وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله : ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ .وقال مجاهد ، والحسن بن مسلم : ﴿ سُجِّرَتْ ﴾: أوقدت . وقال الحسن : يبست. وقال الضحاك ،وقتادة : غاض ماؤها فذهب ولم يبق فيها قطرة . وقال الضحاك أيضا :﴿ سُجِّرَتْ﴾ فجرت. وقال السدى: فتحت وسيرت . وقال الربيع بن خُثَيم: ﴿ سُجِّرَتْ ﴾ : فاضت .

وقوله : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ أى : جمع كل شكل إلى نظيره ، كقوله : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [الصافات:٢٢] .وقال ابن عباس فى قوله : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال: ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة . وقال مجاهد : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال : الأمثال من الناس جمع بينهم . وكذا قال الربيع بن خُثَيم والحسن ، وقتادة . واختاره ابن جرير ، وهو الصحيح .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾، هكذا قراءة الجمهور :﴿ سُئِلَتْ ﴾ . والموؤودة هى التى كان أهل الجاهلية يدسونها فى التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسأل الموؤودة على أى ذنب قتلت،ليكون ذلك تهديداً لقاتلها ، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا ؟ ! وقال ابن عباس : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ أى : سألت . وكذا قال أبو الضحى : « سألت » أى : طلبت بدمها. وعن السدى،

وقتادة ، مثله . وقد وردت أحاديث تتعلق بالموؤدة ، فروى الإمام أحمد عن عائشة، عن جُذَامة (١) بنت وهب ـ أخت عكاشة ـ قالت : حضرتُ رسولَ الله ﷺ فى ناس وهو يقول : « لقد هممت أن أنهى عن الغيلَة ، فنظرت فى الروم وفارس فإذا هم يُغيلُونَ أولادهم ، ولا يضر أولادهم ذلك شيئا ». ثم سألوه عن العزل ، فقال رسول الله ﷺ : « ذلك الوأد الخفى ، وهو الموؤدة سئلت » . ورواه مسلم وابن ماجه، وأبو داود والترمذى، والنسائى(٢). وروى أحمد عن حسناء (٣) ابنة معاوية الصُّرَيمية، عن عمها قال : قلت: يا رسول الله ، من فى الجنة ؟ قال: « النبى فى الجنة ، والشهيد فى الجنة ، والمولود فى الجنة ، والموؤدة فى الجنة »(٤) .

وقوله : ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ : قال الضحاك : أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله. وقال قتادة : صحيفتك يا بن آدم ، تُملى فيها ، ثم تطوى ، ثم تنشر عليك يوم القيامة ، فلينظر رجل ماذا يملى فى صحيفته .

وقوله : ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ قال مجاهد: اجتذبت . وقال السدى : كشفت . وقال الضحاك: تنكشط فتذهب . وقوله : ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ قال السدى : أحميت . وقال قتادة : أوقدت . قال: وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بنى آدم . وقوله : ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قال الضحاك ، وأبو مالك ، وقتادة ، والربيع بن خُثَيم: أى قربت إلى أهلها . وقوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ : هذا هو الجواب، أى : إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] .

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾

روى مسلم ، والنسائى عن عمرو بن حُرَيث قال : صليت خلف النبى ﷺ الصبح ، فسمعته يقرأ : ﴿فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفس﴾ (٥) . وعن على: ﴿ فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس ﴾ قال : هى النجوم تخنس بالنهار ، وتظهر بالليل . وكذا رُوى عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والسدى ، وغيرهم : أنها النجوم . وقال بعض الأئمة : إنما قيل

(١) فى المطبوعة : « جذامة » بالذال ، وهى خطأ .
(٢) المسند (٦/ ٤٣٤) ومسلم (١٤٤٢ / ١٤٠) ،وابن ماجه (٢٠١١) وأبو داود (٣٨٨٢) والترمذى (٢٠٧٧) والنسائى (٦/ ١٠٦).
(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « خنساء » وأثبت من المسند .
(٤) المسند (٥/ ٥٨) والحديث رواه أبو داود (٢٥٢١) ، وصححه الألبانى .
(٥) مسلم (٤٥٦/ ١٦٤) والنسائى فى الكبرى (١١٦٥١) .

للنجوم : « الخنس »، أى : فى حال طلوعها، ثم هى جوار فى فلكها ، وفى حال غيوبتها يقال لها: « كُنَّس » من قول العرب: أوى الظبى إلى كِنَاسه: إذا تغيب فيه. وقال عبد الله : ﴿ فلا أُقْسِمُ بالْخُنَّسِ ﴾ قال: بقر الوحش . وكذا قال سعيد بن جبير . وقال العوفى، عن ابن عباس : هى الظباء . وكذا قال سعيد أيضا ، ومجاهد ، والضحاك . وتوقف ابن جرير فى قوله : ﴿ الْخُنَّسِ . الْجَوارِ الْكُنَّسِ ﴾ ، هل هو النجوم ، أو الظباء وبقر الوحش ؟ قال : ويحتمل أن يكون الجميع مرادا .

وقوله : ﴿ واللَّيْلِ إذا عَسْعَسَ ﴾ فيه قولان : أحدهما : إقباله بظلامه . قال مجاهد : أظلم. وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وقال الحسن البصرى : إذا غشى الناس . وقال ابن عباس : ﴿ إذا عَسْعَسَ ﴾ : إذا أدبر . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك، وزيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : ﴿إذا عَسْعَسَ ﴾ أى : إذا ذهب فتولى . وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿ إذا عَسْعَسَ ﴾ : إذا أدبر . قال: لقوله : ﴿والصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ ﴾ أى : أضاء . وعندى أن المراد بقوله: ﴿ عَسْعَسَ ﴾: إذا أقبل ، وإن كان يصح استعماله فى الإدبار، لكن الإقبال هاهنا أنسب ؛ كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضيائه إذا أشرق ، كما قال : ﴿ واللَّيْلِ إذا يَغْشَى . والنَّهارِ إذا تَجَلَّى ﴾ [الليل: ١ ، ٢] ، وقال : ﴿والضُّحَى . واللَّيْلِ إذا سَجَى ﴾ [الضحى: ١ ، ٢] ، وقال : ﴿ فالِقُ الإصْباحِ وجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً ﴾ [الأنعام: ٩٦] ، وغير ذلك من الآيات . وقال كثير من علماء الأصول : إن لفظة « عسعس » تستعمل فى الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك ، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ والصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ ﴾ قال الضحاك : إذا طلع . وقال قتادة : إذا أضاء وأقبل . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وهو المروى عن على . وقال ابن جرير : يعنى : وَضَوءُ النهار إذا أقبل وتَبَيَّن. وقوله : ﴿ إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يعنى : إن هذا القرآن لتبليغُ رسول كريم ، أى : ملك شريف حَسَن الخلق ، بهى المنظر ، وهو جبريل ، عليه الصلاة والسلام . قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم . ﴿ ذى قُوَّةٍ ﴾ كقوله : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ ﴾ [النجم: ٥ ، ٦] ، أى : شديد الخَلْق ، شديد البطش والفعل ، ﴿ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ أى : له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة. قال أبو صالح فى قوله : ﴿ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ قال : جبريل يدخل فى سبعين حجاباً من نور بغير إذن ، ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ ﴾ أى : له وجاهة ، وهو مسموع القول مطاع فى الملأ الأعلى . قال قتادة : ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ ﴾ أى : فى السموات ، يعنى : ليس هو من أفناد الملائكة ، بل هو من السادة والأشراف، مُعتَنى به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة . وقوله : ﴿ أَمِينٍ ﴾ : صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيم جدا أن الرب عز وجل يزكى عبده ورسوله الملكى جبريل كما زكى عبده ورسوله البشرى محمداً ﷺ بقوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ . قال الشعبى ، وميمون بن مهران ، وأبو صالح ، ومن تقدم ذكرهم : المراد بقوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ يعنى : محمداً ﷺ .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ يعنى : ولقد رأى محمدٌ جبريل الذى يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح ﴿ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ أى : البين ، وهى الرؤية الأولى التى كانت بالبطحاء ، وهى المذكورة فى قوله : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [النجم: ٥ ـ ١٠] ، كما تقدم تفسيرُ ذلك وتقريره والدليلُ عليه أن المرادَ بذلك جبريل ، عليه السلام . والظاهر ـ والله أعلم ـ أن هذه

السورة نزلت قبل ليلة الإسراء ؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهى الأولى، وأما الثانية وهى المذكورة فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ . عندها جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ [النجم:١٣ ـ ١٦] ، فتلك إنما ذكرت فى سورة « النجم » ، وقد نزلت بعد سورة الإسراء .

وقوله : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾ اى : وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين ، أى : بمتهم . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد ، أى : ببخيل ، بل يبذله لكل أحد . قال سفيان بن عُيينة : ظنين وضنين سواء ، أى : ما هو بكاذب ، وما هو بفاجر . والظنين : المتهم ، والضنين : البخيل . وقال قتادة : كان القرآن غيبا ، فأنزله الله على محمد ، فما ضَنّ به على الناس ، بل بلّغه ونشره وبذله لكل من أراده. وكذا قال عكرمة ، وابن زيد، وغير واحد. واختار ابنُ جرير قراءة الضاد . قلت: وكلاهما متواتر، ومعناه صحيح كما تقدم .

وقوله : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ اى : وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم ، أى : لا يقدر على حمله ، ولا يريده، ولا ينبغى له . كما قال : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وما ينبغى لهم وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢] . وقوله : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾؟ أى: فأين تذهب عقولكم فى تكذيبكم بهذا القرآن ، مع ظهوره ووضوحه ، وبيان كونه حقا من عند الله عز وجل ، كما قال الصديق لوفد بنى حنيفة حين قدموا مسلمين ، وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمة الذى هو فى غاية الهذيان والركاكة، فقال: ويحكم، أين يُذهَب بعقولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ ، أى : من إله . وقال قتادة : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ أى : عن كتاب الله وعن طاعته . وقوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ أى : هذا القرآن ذكر لجميع الناس ، يتذكرون به ويتعظون . ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ أى : من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن ، فإنه منجاةٌ له وهداية ، ولا هداية فيما سواه . ﴿ وما تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾أى : ليست المشيئة موكولة إليكم ، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل ، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين .

تفسير سورة الانفطار

وهى مكية

روى النسائى عن جابر قال : قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطوّل ، فقال النبى ﷺ : « أفتان أنت يا معاذ ؟ ! أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى ، والضحى ، وإذا السماء انفطرت ؟! ». وأصل الحديث مخرج فى الصحيحين[1] ، ولكن ذكرُ ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ من أفراد النسائى. وتقدم من رواية عبد الله بن عمر ، عن النبى ﷺ قال : « من سرّه أن ينظُرَ إلى القيامة رأى عين فليقرأ : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ »[2] .

ربع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ أى : انشقت ، كما قال : ﴿ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ﴾ [المزمل:١٨] . ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ أى : تساقطت. ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ قال ابن عباس: فجر الله بعضها فى بعض. وقال الحسن: فجر الله بعضها فى بعض ، فذهب ماؤها . وقال قتادة: اختلط مالحها بعذبها. ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ قال ابن عباس : بُحثت. وقال السدى: تُبعثر: تُحرّك فيخرج من فيها . ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ أى : إذا كان هذا حَصَل هذا .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ : هذا تهديد ، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب ؛ حيث قال : ﴿ الْكَرِيمِ ﴾ ، حتى يقول قائلهم : غره كرمه . بل المعنى فى هذه الآية : ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم ـ أى : العظيم ـ حتى أقدمت على معصيته ، وقابلته بما لا يليق؟ كما جاء فى الحديث: «يقول الله يوم القيامة : ابن آدم، ما غرك بى ؟ ابن آدم، ماذا أجبتَ المرسلين؟ ». عن ابن عمر ـ وقرأ هذه الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ قال: غره ـ والله ـ جهله. ورُوى عن ابن عباس، والحسن مثلُ ذلك. وقال قتادة: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ : شىءٌ ما غَرّ ابن آدم غير هذا العدو الشيطان . وقال الفضيل بن عياض : لو قال لى: « ما غرك بى »، لقلت : ستُورك المرخاة . وقال أبو بكر الوراق : لو قال لى: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ لقلت : غرنى كرم الكريم.

وقوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ أى: ما غرك بالرب الكريم ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ أى: جعلك سَوِيًا معتدل القامة منتصبها ، فى أحسن الهيئات والأشكال . روى الإمام أحمد عن بُسْر[3]

(١) النسائى فى الكبرى (١١٦٥٢) والبخارى (٧٠٠ ، ٧١١) ومسلم (٤٦٥ / ١٧٨) .

(٢) مضى تخريجه فى أول سورة التكوير .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة: «بشر» والمثبت كما فى المسند وابن ماجه. وكلاهما صحيح. انظر المغنى فى ضبط أسماء =

ابن جَحَّاش القرشي: أن رسول الله ﷺ بصق يوما فى كفه ، فوضع عليها إصبعه، ثم قال : « قال الله عز وجل : ابن آدم ، أنَّى تُعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سَوَّيتك وعدلتك ، مشيت بين بردين وللأرض منك وَئِيدٌ ، فجَمَعت ومَنعت ، حتى إذا بلغت التراقى قلتَ : أتصدقُ ، وأنَّى أوانُ الصدقة » .وكذا رواه ابن ماجه[1] .

وقوله: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾: قال مجاهد : فى أى شَبَه أب أو أم أو خال أو عم ؟ وفى الصحيحين عن أبى هُرَيرة أن رَجُلاً قال : يا رسول الله ، إن امرأتى وَلَدت غُلاماً أسودَ ؟ . قال : «هل لك من إبل ؟ » . قال : نعم . قال : « فما ألونها ؟ » قال : حُمر . قال : « فهل فيها من أورَق ؟ » قال : نعم . قال : « فأنى أتاها ذلك ؟ » قال : عسى أن يكون نَزَعة عِرْق . قال : «وهذا عسى أن يكون نزعة عرق »[2] . وقد قال عكرمة فى قوله : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ : إن شاء فى صورة قرد ، وإن شاء فى صورة خنزير . وكذا قال أبو صالح : إن شاء فى صورة كلب ، وإن شاء فى صورة حمار ، وإن شاء فى صورة خنزير .قال قتادة : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ ، قال : قادر ـ والله ـ ربنا على ذلك.ومعنى هذا القول عند هؤلاء: أن الله، عز وجل، قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ،ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام،حَسَن المنظر والهيئة. وقوله تعالى:﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ أى : بل إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصى، تكذيب فى قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ يعنى : وإن عليكم لملائكةً حَفَظَةً كراما فلا تقابلوهم بالقبائح ، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم .

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝ ﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم ، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ،ولم يقابلوه بالمعاصى. ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ؛ ولهذا قال : ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أى: يوم الحساب والجزاء والقيامة ، ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ أى : لا يغيبون عن العذاب ساعةً واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها ، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ، ولو يوما واحدا .

وقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة ، ثم أكده بقوله: ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ ، ثم فسره بقوله :﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ أى:لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خَلاصه مما هو فيه ، إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى . ونذكر هاهنا حديث: « يا بنى هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار ، لا أملك لكم من الله شيئا »[3] . ولهذا قال : ﴿ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾،كقوله:

= الرجال لمحمد طاهر الهندى (ص ٣٨ ط . دار الكتاب العربى) .

(١) المسند (٤/ ٢١٠) وابن ماجه (٢٧٠٧) وفى زوائد البوصيرى : « إسناده صحيح ، رجاله ثقات » .

(٢) البخارى (٥٣٠٥) ومسلم (١٥٠٠ / ١٨) .

(٣) مسلم (٢٠٤ / ٣٤٨) .

﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر:١٦]، وكقوله: ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ [الفرقان:٢٦]، وكقوله: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤] .قال قتادة: ﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾، والأمر ـ والله ـ اليوم لله ،ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد .

obeikandl.com

تفسير سورة المطففين

وهى مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦ ﴾

روى النسائى وابن ماجه عن ابن عباس قال : لما قدم نبى الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ، فحسّنوا الكيلَ بعد ذلك (١) . فالمراد بالتطفيف هاهنا : البَخْس فى المكيال والميزان ، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس ، وإما بالنقصان إن قَضَاهم . ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخَسَار والهَلَاك وهو الويل ، بقوله: ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾ أى: من الناس ﴿ يَسْتَوْفُونَ ﴾ أى : يأخذون حقهم بالوافى والزائد، ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أى : ينقصون. والأحسن أن يجعل « كالوا » و«وزنوا» متعديا، ويكون هم فى محل نصب ، ومنهم من يجعلها ضميرا مؤكدا للمستتر فى قوله :«كالوا »و « وزنوا»، ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه ، وكلاهما متقارب .

وقد أمر الله ـ تعالى ـ بالوفاء فى الكيل والميزان ، فقال: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[الإسراء:٣٥] ، وقال : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الانعام:١٥٢] ، وقال : ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن:٩] . وأهلك الله قوم شعيب ودَمَّرهم على ما كانوا يبخسون الناس فى المكيال والميزان . ثم قال تعالى متوعدا لهم : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ؟ أى : أما يخافُ أولئك من البعث والقيام بين يَدَى من يعلم السرائر والضمائر ، فى يوم عظيم الهول ، كثير الفزع ، جليل الخطب ، من خسر فيه أدخل نارا حامية ؟

وقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أى : يقومون حفاة عراة غُرلاً ، فى موقف صعب حَرج ضيق ضنك على المجرم ، ويغشاهم من أمر الله ما تَعْجزُ القوى والحواس عنه. عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال:« ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه » . رواه البخارى ومسلم (٢).

ولفظ الإمام أحمد عن ابن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : لعظَمة الرحمن عز وجل يوم القيامة ، حتى إن العرقَ لَيُلجِمُ الرجالَ إلى أنصاف آذانهم» (٣) .

---

(١) النسائى فى الكبرى (١١٦٥٤) وابن ماجه (٢٢٢٣) ،وصححه الالبانى .

(٢) البخارى (٢٨٦٢ ، ٦٥٣١) ومسلم (٢٨٦٢/ ٦٠)

(٣) المسند (٤٨٦٢) وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » .

وروى الإمام أحمد : عن المقداد ـ يعنى ابن الأسود الكندى ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا كان يومُ القيامة أدنيَت الشمس من العباد ، حتى تكون قيدَ ميل أو ميلين ، قال : فتصهرهم الشمس ، فيكونون فى العَرَق كقَدْر أعمالهم ، منهم من يأخذه إلى عَقِبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه،ومنهم من يأخذه إلى حَقْوَيه ، ومنهم من يلجمه إلجاما ».رواه مسلم والترمذى (١). وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس ، فمن الناس من يبلغ عرقه عَقِبيه ، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ العَجُز ، ومنهم من يبلغ الخاصرة ، ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ وسط فيه ـ وأشار بيده فألجمها فاه ، رأيت رسول الله ﷺ يشير هكذا ـ ومنهم من يغطيه عرقه». وضرب بيده إشارة . انفرد به أحمد (٢).

وفى حديث : أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون . وقيل : يقومون ثلاثمائة سنة . وقيل : يقومون أربعين ألف سنة . ويقضى بينهم فى مقدار عشرة آلاف سنة ، كما فى صحيح مسلم عن أبى هُرَيرة مرفوعا : «فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (٣) . وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه عن عائشة : أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل : يكبر عشرا ، ويحمد عشرا ، ويسبح عشرا ، ويستغفر عشرا ، ويقول : « اللهم اغفر لى واهدنى ، وارزقنى وعافنى » . ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة (٤) .

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى: حقا ﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ أى : إن مصيرهم ومأواهم لفى سجين ـ فعيل من السَّجن ، وهو الضيق ـ كما يقال : فسّيق وشرّيب وخمّير وسكّير ، ونحو ذلك . ولهذا عظم أمره فقال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ ؟ أى : هو أمر عظيم ، وسجن مقيم وعذاب اليم . والصحيح أن «سجينا» مأخوذ من السَّجن ، وهو الضيق ، فإذا المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق ، وكل ما تعالى منها اتسع ، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذى دونه ، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التى دونها ،حتى ينتهى السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز فى وسط الأرض السابعة . ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهى أسفل السافلين، كما قال تعالى :﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [التين:٥] قال هاهنا :﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ . وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ ،وهو يجمع الضيق

(١) المسند (٣١٦) ومسلم (٢٨٦٤ / ٦٢) والترمذى (٢٤٢١) .
(٢) المسند (٤/ ١٥٧) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٣٨) : « رواه أحمد والطبرانى وإسناد الطبرانى جيد » .
(٣) مسلم (٩٨٧ / ٢٤) .
(٤) أبو داود (٧٦٦) والنسائى (١٦١٧) وابن ماجه (١٣٥٦) وصححه الألبانى .

والسفول ، كما قال: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان: ١٣] .

وقوله : ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ ليس تفسيرا لقوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ ، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين ، أى : مرقوم مكتوب مفروغ منه ، لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد ؛ قاله محمد بن كعب القرظى. ثم قال: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أى: إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السِّجن والعذاب المهين .وقد تقدم الكلام على قوله :﴿ وَيْلٌ ﴾ بما أغنى عن إعادته ، وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار ، كما يقال : ويل لفلان .وكما جاء فى المسند والسنن من رواية بَهْز بن حكيم ابن معاوية بن حَيْدَة ، عن أبيه ، عن جده قال :قال رسول الله ﷺ : « ويل للذى يُحَدِّث فيكذب ، ليضحكَ الناس ، ويل له ، ويل له »[1] . ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة : ﴿ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أى: لا يصدقون بوقوعه ، ولا يعتقدون كونه، ويستبعدون أمره . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ أى : معتد فى أفعاله ؛ من تعاطى الحرام والمجاوزة فى تناول المباح ، والأثيم فى أقواله : إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر .

وقوله : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أى : إذا سمع كلام الله من الرسول يكذب به ، ويظن به ظن السوء ، فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [النحل: ٢٤] ، وقال : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥] ، قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أى: ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا ، إن هذا القرآن أساطير الأولين ، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرِّين الذى قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. والرين يعترى قلوبَ الكافرين ، والغيم للأبرار ، والغين للمقربين . وقد روى ابن جرير والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : « إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه ، فإن تاب منها صُقِل قلبه ، وإن زاد زادت ، فذلك قول الله : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ » .وقال الترمذى : حسن صحيح. ولفظ النسائى : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكت فى قلبه نكتة، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقِل قلبه ، فإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه ، فهو الران الذى قال الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ »[2] . وروى أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صُقِل قلبه ، فإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ، وذاك الران الذى ذكر الله فى القرآن : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ »[3] . وقال الحسن البصرى : هو الذنب على الذنب، حتى يعمى القلب ، فيموت . وكذا قال مجاهد وقتادة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقوله :﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ أى : لهم يوم القيامة مَنزلٌ ونزل سجين ، ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم .قال الإمام الشافعى : فى هذه الآية دليل على أن

---

(١) المسند (٥/ ٥ ، ٧) وأبو داود (٤٩٩٠) والترمذى (٢٣١٥) ، وصححه الألبانى .

(٢) ابن جرير فى التفسير (٣٠/ ٦٢ ، ٦٣) والترمذى (٢٣١٥) والنسائى (١١٦٥٨ / ١) وابن ماجه (٤٢٤٤) وصححه الألبانى .

(٣) المسند (٧٩٣٩) وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » .

المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ . وهذا الذى قاله الإمام الشافعى ، رحمه الله ، فى غاية الحسن ، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢،٢٣] . وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة فى رؤية المؤمنين ربهم عز وجل فى الدار الآخرة ، رؤية بالأبصار فى عَرَصات القيامة ، وفى روضات الجنات الفاخرة . قوله :﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ أى: ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران، ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أى: يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ ،والتصغير والتحقير.

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى : حقا ﴿ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ ﴾ وهم بخلاف الفجار ، ﴿ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ أى : مصيرهم إلى عليين، وهو بخلاف سجين. قال غير واحد : إنها السماء السابعة . وقال ابن عباس فى قوله : ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ يعنى : الجنة . وفى رواية عنه : أعمالهم فى السماء عند الله . وكذا قال الضحاك. وقال قتادة : عليون: ساق العرش اليمنى. وقال غيره: عليون عند سدرة المنتهى. والظاهر : أن عليين مأخوذ من العلو ، وكلما علا الشىء وارتفع عظم واتسع ؛ ولهذا قال معظما أمره ومفخما شأنه: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ .

ثم قال مؤكدا لما كتب لهم : ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ. يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ ، وهم الملائكة ، قاله قتادة . وقال العَوْفى ، عن ابن عباس : يشهده من كل سماء مقربوها .ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ أى : يوم القيامة هم فى نعيم مقيم ، وجنات فيها فضل عميم، ﴿ عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ وهى : السرر تحت الحِجَال، ﴿ يَنظُرُونَ ﴾ قيل : معناه : ينظرون فى مُلكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذى لا ينقضى ولا يبيد . وقيل : معناه : ﴿ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ إلى الله عز وجل . وهذا مقابلة لما وُصف به أولئك الفجار : ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ، فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم.

وقوله : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ أى : تعرف إذا نظرت إليهم فى وجوههم نضرة النعيم، أى : صفة الترافة والحشمة والسرور والدَّعة والرياسة ؛ مما هم فيه من النعيم العظيم. وقوله : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾ أى :يسقون من خمر من الجنة . والرحيق: من أسماء الخمر. قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ،والحسن ، وقتادة ، وابن زيد .وقال ابن مسعود فى قوله : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ أى : خلطه مسك .وقال ابن عباس : طيب الله لهم الخمر ، فكان آخر شىء جعل فيها مسك ، خُتِم بمسك. وكذا قال قتادة والضحاك .وقال إبراهيم والحسن : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ أى : عاقبته مسك . وقال مجاهد : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ قال : طيبه مسك .

وقوله: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ أى : وفى مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون ، وليتباهى

ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون، كقوله: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الصافات:٦١] . وقوله : ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ أى : ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم ، أى : من شراب يقال له تسنيم ، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه . قاله أبو صالح والضحاك؛ ولهذا قال : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ أى: يشربها المقربون صِرْفاً، وتُمزَجُ لأصحاب اليمين مَزجاً . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق، وقتادة ، وغيرهم .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۝ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝ ﴾

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا فى الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين ، أى : يستهزئون بهم ويحتقرونهم ، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم ، أى : محتقرين لهم ، ﴿ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَاكِهِينَ(١) ﴾ أى: إذا انقلب، أى : رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم ، انقلبوا إليها فاكهين ، أى : مهما طلبوا وجدوا ، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم ، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم ، ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ اى : لكونهم على غير دينهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴾ أى:وما بُعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ، ولا كلفوا بهم ؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم ، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ . إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ . إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٨ـ١١١] . ولهذا قال هاهنا : ﴿ فَالْيَوْمَ ﴾ يعنى : يوم القيامة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ أى : فى مقابلة ما ضحك بهم أولئك ، ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ أى : إلى الله عز وجل ، فى مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ،ليسوا بضالين ، بل هم من أولياء الله المقربين ، ينظرون إلى ربهم فى دار كرامته . وقوله : ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ؟ أى : هل جوزى الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا ؟ يعنى : قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله .

(١) « فاكهين » : قراءة الجمهور ، وكذا قراءة الحافظ ابن كثير .

تفسير سورة الانشقاق

وهي مكية

عن أبى هريرة أنه قرأ بهم : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ ، فسجد فيها ، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها . رواه مسلم والنسائى(١) . وروى البخارى عن أبى رافع قال : صليت مع أبى هُرَيرة العتمة فقرأ : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت ﴾ ، فسجد ،فقلت له ، فقال :سجدتُ خلف أبى القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه. وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائى(٢). وقد روى مسلم وأهل السنن عن أبى هريرة قال : سجدنا مع رسول الله ﷺ فى ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت ﴾ و ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (٣) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربع ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۝ ﴾

يقول تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت ﴾ وذلك يوم القيامة ، ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ أى : استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ أى : وحق لها أن تطيع أمره ؛ لأنه العظيم الذى لا يُمانَع ولا يغالب ،بل قد قهر كل شىء وذل له كلّ شىء . ثم قال : ﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ أى : بُسطت وفرشت ووُسِّعَت . روى ابن جرير عن على بن الحسين : أن النبى ﷺ قال : « إذا كان يومُ القيامة مَدَّ الله الأرض مَدَّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه، فأكون أول من يدعى، وجبريل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها ، فأقول : يا رب ،إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلى ؟ فيقول الله عز وجل: صدق. ثم أشفع فأقول : يا رب ، عبادك عبدوك فى أطراف الأرض . قال : وهو المقام المحمود » (٤) .

وقوله : ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ أى : ألقت ما فى بطنها من الأموات ، وتخلت منهم . قاله مجاهد ،وسعيد ، وقتادة ، ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ كما تقدم .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ أى : ساع إلى ربك سعيا ، وعامل عملا

(١)مسلم (٥٧٨ / ١٠٧) والنسائى فى الكبرى (١١٦٦٠) .
(٢)البخارى (٧٦٦ ، ٧٦٨) ومسلم (٥٧٨ / ١٠٧) وأبو داود (١٤٠٨) والنسائى (٩٦٢) .
(٣)مسلم (٥٧٨ / ١٠٨) وأبو داود (١٤٠٧) والترمذى (٥٧٣) .
(٤)ابن جرير فى التفسير (٣٠ / ٧٢) . ورواه الحاكم فى المستدرك (٥ / ٥٧٠) عن جابر بنحوه ، ثم قال : « صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه » .

﴿ فَمُلَاقِيهِ ﴾ ، ثم إنك ستلقى ما عملتَ من خير أو شر . ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسى ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « قال جبريل : يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه،واعمل ما شئت فإنك ملاقيه» (١) . ومن الناس من يعيد الضمير على قوله: ﴿ رَبِّكَ ﴾ أى : فملاق ربك ، ومعناه : فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك . وعلى هذا فكلا القولين متلازم. قال ابن عباس : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ يقول : تعمل عملا تلقى الله به ، خيرا كان أو شرا . وقال قتادة : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ : إن كدحك ـ يا ابن آدم ـ لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ، ولا قوة إلا بالله . ثم قال : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ أى : سهلا بلا تعسير ، أى: لا يحقق عليه جَميعُ دقائق أعماله؛ فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة. روى الإمام أحمد عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «من نُوقش الحساب عُذِّب». قالت: فقلت: أليس قال الله : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ؟ ، قال : « ليس ذاك بالحساب ، ولكن ذلك العَرْض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » . وهكذا رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن جرير (٢). وروى ابن جرير عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :« إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبا » . فقلت : أليس الله يقول : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ؟ ، قال : « ذاك العرض ، إنه من نُوقش الحساب عُذب » ، وقال بيده على إصبعه كأنه يَنكُتُ . أخرجاه (٣). وروى أحمد عن عائشة قالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول فى بعض صلاته : « اللهم حاسبنى حسابا يسيرا » . فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، ما الحساب اليسير؟ قال : « أن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه ، إنه من نُوقش الحسابَ يا عائشةُ يومئذ هَلَكَ » . صحيح على شرط مسلم (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ أى : ويرجع إلى أهله فى الجنة . قاله قتادة ، والضحاك، ﴿ مَسْرُورًا ﴾ أى : فرحان مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل . وقوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ أى : بشماله من وراء ظهره ، تُثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك ، ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾ أى: خسارا وهلاكا ، ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا . إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ أى: فرحا لا يفكر فى العواقب،ولا يخاف مما أمامه ، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل ، ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ أى: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته . قاله ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما . والحَوْرُ : هو الرجوع . قال الله : ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ يعنى : بلى سيعيده الله كما بدأه ،ويجازيه على أعماله خيرها وشرها ، فإنه ﴿ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ أى : عليما خبيرا .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۝ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۝ سجد

(١) الطيالسى فى المسند (١٧٥٥) ، وقال الهيثمى فى الزوائد (٢ / ٢٥٥ ، ٢٥٦) : « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه زاخر ابن سليمان وثقه أحمد وابن معين وأبو داود وتكلم فيه ابن عدى وابن حبان بما لا يضر » .
(٢) المسند (٦ / ٤٧) والبخارى (٤٩٣٩) ومسلم (٢٨٧٦ / ٧٩) والترمذى (٣٣٣٧) وابن جرير فى التفسير (٣٠/ ٧٤) .
(٣) ابن جرير فى التفسير (٣٠ / ٧٤) والبخارى ومسلم السابقان .
(٤) المسند (٦ / ٤٨) .

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

رُوى عن على، وابن عباس، وعُبادة بن الصامت ، وأبى هُرَيرة ، وشداد بن أوس ، وابن عمر ، وغيرهم أنهم قالوا : الشفق : الحمرة . فالشفق هو : حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس ـ كما قاله مجاهد ـ وإما بعد غروبها ـ كما هو معروف عند أهل اللغة . قال الخليل بن أحمد : الشفق : الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفق . وقال الجوهرى : الشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتُها فى أول الليل إلى قريب من العَتَمَة . وكذا قال عكرمة : الشفق الذى يكون بين المغرب والعشاء. وفى صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « وقت المغرب ما لَم يغب الشفق »(١) .

ففى هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهرى والخليل . ولكن صح عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾: هو النهار كله. وفى رواية عنه أيضا أنه قال : الشفق : الشمس . رواهما ابن أبى حاتم . وإنما حمله على هذا قَرْنُهُ بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ اى: جمع. كأنه أقسم بالضياء والظلام . وقال ابن جرير : أقسم الله بالنهار مدبراً ، وبالليل مقبلا . قال ابن جرير : وقال آخرون : الشفق اسم للحمرة والبياض . وقالوا : هو من الأضداد. قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ،وقتادة : ﴿ وَمَا وَسَقَ ﴾ : وما جمع . قال قتادة : وما جمع من نجم ودابة . واستشهد ابن عباس بقول الشاعر :

مُستَوسقات لو تَجِدْنَ سَائقا

قد قال عكرمة : ﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ يقول : ما ساق من ظلمة ، إذا كان الليل ذهب كل شىء إلى مأواه .

وقوله : ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ قال ابن عباس : إذا اجتمع واستوى . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومسروق ، وأبو صالح ،والضحاك ،وابن زيد : ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾: إذا استوى . وقال الحسن : إذا اجتمع ،إذا امتلأ . وقال قتادة : إذا استدار . ومعنى كلامهم : أنه إذا تكامل نوره وأبدر ، جعله مقابلا لليل وما وسق . وقوله : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ روى البخارى عن ابن عباس : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : حالا بعد حال ، قال هذا نبيكم ﷺ . هكذا رواه البخارى بهذا اللفظ(٢) ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبى ﷺ ، كأنه قال: سمعت هذا من نبيكم ﷺ ، فيكون قوله : « نبيكم » مرفوعا على الفاعلية من « قال » وهو الأظهر، والله أعلم،كما قال أنس: لا يأتى عام إلا والذى بعده شَرٌّ منه ، سمعته من نبيكم ﷺ . وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : حالا بعد حال . وكذا قال عكرمة ومُرة الطَّيِّب ، ومجاهد ، والحسن، والضحاك .

ويحتمل أن يكون المراد : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : حالا بعد حال . قال هذا ، يعنى المراد

(١) مسلم (٦١٢ / ١٧٣) .

(٢) البخارى (٤٩٤٠) .

بهذا نبيكم ﷺ ، فيكون مرفوعا على أن « هذا » و « نبيكم » يكونان مبتدأ وخبرا ، والله أعلم . ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة ،كما روى أبو داود الطيالسى عن ابن عباس: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال :محمد ﷺ . ويؤيد هذا المعنى قراءةُ عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس، وعامة أهل مكة والكوفة : « لَتَرْكَبَنَّ» بفتح التاء والباء .

روى ابن أبى حاتم عن الشعبى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال : لتركَبن يا محمد سماء بعد سماء. وهكذا رُوى عن ابن مسعود، ومسروق، وأبى العالية : ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ : سماء بعد سماء . قلت : يعنون ليلة الإسراء .

وقال السدى نفسُه : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل . قلت : كأنه أراد معنى الحديث الصحيح : « لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم، حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة ، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لدخلتموه ». قالوا: يا رسول الله،اليهود والنصارى؟ قال:« فمن؟ »(١) . وهذا محتمل . وقال عبد الله [بن مسعود] : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال : السماء تنشق ثم تحمر ،ثم تكون لونا بعد لون . وقال سعيد بن جبير : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : قوم كانوا فى الدنيا خسيس أمرهم ، فارتفعوا فى الآخرة ، وآخرون كانوا أشرافا فى الدنيا ،فاتضعوا فى الآخرة . وقال عكرمة :﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾: حالا بعد حال ، فطيماً بعد ما كان رضيعاً ، وشيخاً بعد ما كان شاباً . وقال الحسن البصرى: ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ يقول : حالا بعد حال ، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقرا بعد غنى، وصحة بعد سقم ،وسَقَما بعد صحة .

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس فى هذه الآية من القراء والمفسرين : والصواب من التأويل قول من قال : لَتَرْكَبَنَّ أنت ـ يا محمد ـ حالا بعد حال وامراً بعد أمر من الشَّدَائد. والمراد بذلك ـ وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ مُوَجَّها ـ جَميعَ الناس ، وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً .

وقوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ أى : فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ؟ وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الرحمن وكلامه ـ وهو هذا القرآن ـ لا يسجدون إعظاما وإكراماً واحتراما ؟ وقوله : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴾ أى : من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ قال مجاهد وقتادة : يكتمون فى صدورهم ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أى: فأخبرهم ـ يا محمد ـ بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا أليما .

وقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ : هذا استثناء منقطع ، يعنى: لكن الذين آمنوا،أى : بقلوبهم ،وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ ﴾ أى:فى الدار الآخرة ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ قال ابن عباس: غير منقوص . وقال مجاهد ،والضحاك : غير محسوب . وحاصل قولهما أنه غير مقطوع ، كما قال تعالى : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٨] . وقال السدى : قال بعضهم : ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ : غير منقوص . وقال بعضهم : ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ عليهم . هذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غير واحد ؛ فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة فى كل حال وآن ولحظة ،وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا

(١) مضى تخريجه عند الآية (٣٤) من سورة التوبة .

باعمالهم ، فله عليهم المنة دائما سرمداً ، والحمد لله وحده أبدا ؛ ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النَّفَس : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠] .

obeikandl.com

تفسير سورة البروج
وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠ ﴾

يقسم تعالى بالسماء وبروجها ، وهى : النجوم العظام ، كما تقدم بيان ذلك فى قوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [الفرقان:٦١] . قال ابن عباس،ومجاهد ، وقتادة: البروج:النجوم.وعن مجاهد أيضا: البروج التى فيها الحرس . وقال يحيى بن رافع : البروج : قصور فى السماء . وقال المنهال بن عمرو : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ : الخلق الحسن . واختار ابن جرير أنها:منازل الشمس والقمر ، وهى اثنا عشر برجا ، تسير الشمس فى كل واحد منها شهراً ، ويسير القمر فى كل واحد يومين وثلثا ، فذلك ثمانية وعشرون منزلاً ، ويستتر ليلتين .

وقوله: ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ. وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ :اختلف المفسرون فى ذلك . وروى أحمد عن أبى هريرة أنه قال فى هذه الآية : ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ قال : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة،والموعود يوم القيامة (١). وقد رُوى عن أبى هريرة أنه قال: اليوم الموعود يوم القيامة . وكذلك قال الحسن ، وقتادة، وابن زيد . ولم أرهم يختلفون فى ذلك ، ولله الحمد . وقال مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك : الشاهد: ابن آدم ، والمشهود : يوم القيامة . وعن عكرمة أيضا : الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : يوم الجمعة . وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : الشاهد : الله ، والمشهود : يوم القيامة. وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ قال: الشاهد : الإنسان . والمشهود : يوم الجمعة.

وروى ابن جرير عن ابن عباس: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ الشاهد:يوم عرفة، والمشهود : يوم القيامة . وبه عن سفيان ـ هو الثورى ـ عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : يوم الذبح ، ويوم عرفة ، يعنى الشاهد والمشهود . وعن سعيد بن جبير: الشاهد : الله ، وتلا ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٧٩] ، والمشهود : نحن . حكاه البغوى ، وقال : الأكثرون على أن الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة .

وقوله : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ أى : لعن أصحاب الأخدود ، وجمعه : أخاديد ، وهى الحفير فى الأرض ، وهذا خبر عن قوم من الكفار عَمَدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله ، عز وجل،

(١) المسند (٢/٢٩٨، ٢٩٩) وصحح إسناده شاكر رحمه الله.

فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ، فأبوا عليهم ، فحفروا لهم فى الأرض أخدُوداً وأججوا فيه نارًا، وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به ، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم ، فقذفوهم فيها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أى: مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ أى : وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذى لا يضام من لاذ بجنابه ، المنيع الحميد فى جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، وإن كان قد قَدّر على عباده هؤلاء هذا الذى وقع بهم بأيدى الكفار به ، فهو العزيز الحميد ، وإن خفى سبب ذلك على كثير من الناس . ثم قال : ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أى: لا يغيب عنه شىء فى جميع السموات والأرض ، ولا تخفى عليه خافية .

وقد اختلف أهل التفسير فى أهل هذه القصة ، من هم . فعن على:أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم ، فامتنع عليه علماؤهم ، فعمد إلى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم ، واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم . وعنه : أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم، فغلب مؤمنوهم على كفارهم ، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين ، فخدُّوا لهم الأخاديد ، وأحرقوهم فيها . وعنه: أنهم كانوا من أهل الحبشة ، ونبيهم حَبَشِىٌّ . وقال ابن عباس : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ قال : ناس من بنى إسرائيل ، خَدّوا أخدوداً فى الأرض ، ثم أوقدوا فيه نارا، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء، فعُرضوا عليها ، وزعموا أنه دانيال وأصحابه . وهكذا قال الضحاك بن مُزَاحم ، وقيل غير ذلك .

وقد روى الإمام أحمد عن صُهَيب : أن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر الساحر قال للملك : إنى قد كبرت سِنِّى وحضر أجلى ، فادفع إلى غلاما أعلمه السحر . فدفع إليه غلاما فكان يعلمه السحر ، وكان بين الساحر وبين الملك راهب ، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه ، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال : ما حبسك ؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك ؟ فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا أراد الساحر أن يضربك فقل : حبسنى أهلى . وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل : حبسنى الساحر . قال : فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة ، قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا ، فقال : اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر . قال : فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس . ورماها فقتلها ، ومضى الناس . فأخبر الراهب بذلك فقال : أىْ بُنَىّ ، أنت أفضل منى ، وإنك ستُبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل على . فكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان جليس للملك فعمى ، فسمع به ، فأتاه بهدايا كثيرة فقال : اشفنى ولك ما ههنا أجمعُ . فقال: ما أنا أشفى أحداً نما يشفى الله، عز وجل ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك . فآمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك : يا فلان ، من رَدّ عليك بصرك؟ فقال : ربى ؟ فقال: أنا ؟ قال : لا ، ربى وربك الله. قال : ولك رب غيرى ؟ قال : نعم ، ربى وربك الله . فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فبعث إليه فقال : أىْ بُنَىّ ، بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص

وهذه الأدواء ؟ قال: ما أشفى أنا أحداً ، إنما يشفى الله، عز وجل . قال : أنا ؟ قال : لا . قال : أولك رب غيرى ؟ قال : ربى وربك الله . فأخذه أيضا بالعذاب ، فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى بالراهب فقال : ارجع عن دينك ، فأبى ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه ، وقال للأعمى: ارجع عن دينك، فأبى ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للغلام : ارجع عن دينك ، فأبى ، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال : إذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فَدَهدهوه، فذهبوا به ، فلما علوا به الجبل قال : اللهم ، اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون. وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال: كفانيهم الله . فبعث به مع نفر فى قُرقُور فقال : إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرِّقوه فى البحر . فلججوا به البحر فقال الغلام : اللهم ، اكفنيهم بما شئت . فغرقوا أجمعون ، وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . ثم قال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به ، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتنى ، وإلا فإنك لا تستطيع قتلى . قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد ثم تصلبنى على جذع ، وتأخذ سهماً من كنانتى ثم قل : « بسم الله رب الغلام » ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى. ففعل ، ووضع السهم فى كبد قوسه ثم رماه ، وقال: « بسم الله رب الغلام». فوقع السهم فى صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات، فقال الناس : آمنا برب الغلام . فقيل للملك : أرأيت ما كنت تحذر ؟ فقد ـ والله ـ نزل بك ، قد آمن الناس كلهم. فأمر بأفواه السكك فَخُدّت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران ، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها . قال : فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون ، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه ، فكأنها تقاعست أن تقع فى النار ، فقال الصبى : اصبرى يا أماه ، فإنك على الحق » وهكذا رواه مسلم والنسائى (١) .

وقد جَوّده الإمام أبو عيسى الترمذى عن صُهَيب قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر هَمَس ـ والهَمس فى قول بعضهم : تحريك شفتيه كأنه يتكلم ـ فقيل له: إنك ـ يا رسول الله ـ إذا صليت العصر همست ؟ قال : « إن نبيا من الأنبياء ، كان أُعجِب بأمته فقال : من يقوم لهؤلاء ؟ . فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم ، وبين أن أسلط عليهم عدوهم . فاختاروا النقمة ، فسلَّط عليهم الموت ، فمات منهم فى يوم سبعون ألفا » . قال : وكان إذا حَدّث بهذا الحديث ، حَدّث بهذا الحديث الآخر قال: كان مَلك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهن تكهن له، فقال الكاهن : انظروا لى غلاماً فَهِما ـ أو قال: فطناً لَقناً ـ فأعلّمه علمى هذا . فذكر القصة بتمامها ، وقال فى آخره: « يقول الله عز وجل : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ » حتى بلغ : ﴿ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ . قال : فأما الغلام فإنه دفن قال : فيذكر أنه أخرج فى زمان عمر بن الخطاب ، وإصبعه على صُدغه كما وضعها حين قتل . ثم قال الترمذى : حسن غريب (٢) . وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبى ﷺ . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المِزّى : فيحتمل أن يكون من كلام صُهَيب الرومى ، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى ، والله أعلم .

---

(١) المسند (٦ / ١٦) ومسلم (٥ ـ ٣٠٠ / ٧٣) والنسائى فى الكبرى (١١٦٦١) .

(٢) الترمذى (٣٣٤٠) ، وصححه الألبانى .

وقد أورد ابن إسحاق بن يَسَار هذه القصة فى السيرة بسياق آخر، فيها مخالفة لما تقدم فقال: حدثنى يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظى ـ وحدثنى أيضاً بعض أهل نجران، عن أهلها: أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان فى قرية من قراها قريباً من نجران ـ ونجران هى القرية العظمى التى إليها جمَاعُ أهل تلك البلاد ـ ساحرٌ يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها قَيمُون ـ ولم يسموه لى بالاسم الذى سماه ابن منبه، قالوا: رجل نزلها ـ ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التى فيها الساحر، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر، فبعث الشامر ابنه عبد الله بن الشامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه، حتى أسلم فوحد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه، فكتمه إياه وقال له: يا ابن أخى، إنك لن تحمله؛ أخشى ضعفك عنه. والشامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه، وتخوف ضعفه فيه، عمد إلى أقداح فجمعها، ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه فى قدح، وكل اسم فى قدح، حتى إذا أحصاها أوقد ناراً ثم جعل يقذفها فيها قدحاً قدحاً، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شىء، فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذى كتمه فقال: وما هو؟ قال: هو كذا وكذا. قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع. قال: أى ابن أخى، قد أصبته فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل.

فجعل عبد الله بن الشامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال: يا عبد الله، أتوحدُ الله وتدخلُ فى دينى وأدعو الله لك فيعافيكَ مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم. فيوحد الله ويسلم، فيدعو الله له فيَشفَى، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه، فاتبعه على أمره ودعا له فعوفى، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له: أفسدت علىّ أهل قريتى، وخالفت دينى ودين آبائى، لأمثلنّ بك. قال: لا تقدر على ذلك. قال: فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل، فيُطرح على رأسه، فيقع إلى الأرض ما به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه نجران، بُحور لا يلقى فيها شىء إلا هلك، فيلقى به فيها، فيخرج ليس به بأس. فلما غلبه قال له عبد الله بن الشامر: إنك ـ والله ـ لا تقدر على قتلى حتى تُوَحّدَ الله فتُؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت سُلّطتَ علىّ فقتلتنى. قال: فوحّدَ الله ذلك الملك، وشهد شهادة عبد الله بن الشامر، ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة، فقتله، وهلك الملك مكانه. واستجمع أهلُ نجران على دين عبد الله بن الشامر ـ وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم، عليه السلام، من الإنجيل وحُكمه ـ ثم أصابهم ما أصاب أهلَ دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الشامر، والله أعلم أىّ ذلك كان. قال: فسار إليهم ذو نواس بجنده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيَّرهم بين ذلك أو القتل، فاختاروا القتل، فخدّ الأخدود، فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفا، ففى ذى نواس وجنده أنزل الله، عز وجل، على رسوله ﷺ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن

﴿ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

هكذا ذكر ابن إسحاق فى السيرة أن الذى قتل أصحاب الأخدود هو ذو نواس ، واسمه : زرعة ، ويسمَّى فى زمان مملكته بيوسف ، وهو ابن تبَّان أسعد أبى كَرب ، وهو تُبَّع الذى غزا المدينة وكسى الكعبة ، واستصحب معه حبرين من يهود المدينة ، فكان تَهَوّد من تَهَوّد من أهل اليمن على يديهما ، كما ذكره ابن إسحاق مَبسوطاً ، فقتل ذو نواس فى غداة واحدة فى الأخدود عشرين ألفا ، ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له : دوس ذو ثَعلبان ، ذهب فارسا ، وطَرَدُوا وراءه فلم يُقدَر عليه ، فذهب إلى قيصر ملك الشام ، فكتب إلى النجاشى ملك الحبشة ، فأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة ، فاستنقذوا اليمن من أيدى اليهود ، وذهب ذو نواس هارباً فَلَجَّج فى البحر ، فغرق . واستمر مُلْكُ الحبشة فى أيدى النصارى سبعين سنة ، ثم استنقذه سيف بن ذى يزن الحميرى من أيدى النصارى ، لما استجاش بكسرى ملك الفرس ، فأرسل معه من فى السجون ، وكانوا قريباً من سبعمائة ، ففتح بهم اليمن ، ورجع الملك إلى حمير . وسنذكر طرفاً من ذلك ـ إن شاء الله ـ فى تفسير سورة : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حُدِّث : أن رجلاً من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب ، حَفَرَ خَرِبَة من خَرِب نجران لبعض حاجته ، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دَفْن فيها قاعدا ، واضعا يده على ضربة فى رأسه ، ممسكا عليها بيده ، فإذا أخذت يده عنها ثَعبتْ دما ، وإذا أرسلت يده رُدّت عليها ، فأمسكت دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه: ربى الله . فكُتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره ، فكتب عمر إليهم : أن أقرّوه على حاله ، وردّوا عليه الدّفن الذى كان عليه . ففعلوا(٢) .

وقد قال أبو بكر بن أبى الدنيا عن بعض أهل العلم : إن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط ، فبناه فسقط ، ثم بناه فسقط ، فقيل له : إن تحته رجلاً صالحاً . فحفر الأساس فوجد فيه رجلا قائماً معه سيف ، فيه مكتوب : أنا الحارث بن مضاض ، نقمت على أصحاب الأخدود . فاستخرجه أبو موسى ، وبنى الحائط ، فثبت. قلت: هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مُضاض بن عمرو الجرهمى ، أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد نَبْت بن إسماعيل بن إبراهيم، وَوَلَدُ الحارث هذا هو: عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة، لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن ، وهو القائل فى شعره الذى قال ابن هشام إنه أول شعر قاله العرب :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إلى الصَّفَا أَنِيسٌ ، ولَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بَلَى ، نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِى والجُدودُ العَوَاثِرُ

وهذا يقتضى أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان إسماعيل ، عليه السلام ، بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها ، وما ذكره ابن إسحاق يقتضى أن قصتهم كانت فى زمان الفترة التى بين عيسى

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٤٨ ـ ٥٠) .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٥١) .

ومحمد، عليهما من الله السلام ، وهو أشبه ، والله أعلم . وقد يحتمل أن ذلك قد وقع فى العالم كثيراً .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أى : حرَّقوا. قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن أبزى . ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ أى: لم يقلعوا عما فعلوا ، ويندموا على ما أسلفوا. ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾، وذلك أن الجزاء من جنس العمل . قال الحسن البصرى : انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ۝ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝ ﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ؛ ولهذا قال : ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ .

ثم قال : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ أى : إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كَذَّبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوى ؛ فإنه تعالى ذو القوة المتين ، الذى ما شاء كان كما يشاء فى مثل لمح البصر ، أو هو أقرب ؛ ولهذا قال : ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ أى : من قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق ثم يعيده كما بداه ، بلا ممانع ولا مدافع ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ أى : يغفر ذنب من تاب إليه، وخَضَع لديه ، ولو كان الذنب من أى شىء كان . و﴿ الْوَدُودُ ﴾ قال ابن عباس وغيره : هو الحبيب ، ﴿ ذُو الْعَرْشِ ﴾ أى: صاحب العرش العظيم العالى على جميع الخلائق . و﴿ الْمَجِيدِ ﴾ فيه قراءتان : الرفع على أنه صفة للرب ،عز وجل . والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح . ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ أى : مهما أراد فعله ، لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل ؛ لعظمته وقهره وحكمته وعدله ، كما روينا عن أبى بكر الصديق أنه قيل له ـ وهو فى مرض الموت: هل نظر إليك الطبيب ؟ قال : نعم . قالوا : فما قال لك ؟ قال :قال لى : إنى فعال لما أريد .

وقوله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ . فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ أى : هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس، وأنزل عليهم من النقمة التى لم يردها عنهم أحد ؟ وهذا تقرير لقوله : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ أى : إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديدا ، أخذ عزيز مقتدر . وقوله : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾ أى: هم فى شك وريب وكفر وعناد ، ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ أى : هو قادر عليهم ، قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه ، ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ أى : عظيم كريم ، ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ أى : هو فى الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل . وقال الحسن البصرى : إن هذا القرآن المجيد عند الله فى لوح محفوظ ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه .

تفسير سورة الطارق

وهى مكية

روى عبد الله ابن الإمام أحمد عن خالد بن أبى جَبَل العُدْوانى : أنه أبصر رسول الله ﷺ فى مُشرّق ثَقيف وهو قائم على قوس ـ أو : عصا ـ حين أتاهم يبتغى عندهم النصر ، فسمعته يقول : ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، حتى ختمها ـ قال: فوعيتها فى الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها فى الإسلام، قال: فدعتنى ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه [١] . وروى النسائى عن جابر قال: صلى معاذ المغرب، فقرأ البقرة والنساء ، فقال النبى ﷺ : « أفتان أنت يا معاذ ؟ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق ، والشمس وضحاها ، ونحو هذا ؟ » [٢] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ ﴾

يقسم تعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ؛ولهذا قال: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ ثم قال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ ، ثم فسره بقوله : ﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ . قال قتادة وغيره : إنما سمى النجم طارقا ؛ لأنه إنما يرى بالليل ويختفى بالنهار . ويؤيده ما جاء فى الحديث الصحيح : نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا [٣] ، أى : يأتيهم فجأة بالليل .

وقوله : ﴿ الثَّاقِبُ ﴾ قال ابن عباس : المضىء . وقال السدى : يثقب الشياطين إذا أرسل عليها . وقال عكرمة : هو مضىء ومحرق للشيطان .

وقوله : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ أى : كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ، كما قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ الآية [الرعد:١١] . وقوله: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾: تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذى خُلق منه ، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد ؛ لأن من قدر على البَدَاءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى ، كما قال :﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧] . وقوله : ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ يعنى : المنى ؛ يخرج دَفقاً من الرجل ومن المرأة ، فيتولد منهما الولد بإذن الله ، عز وجل ؛ ولهذا قال : ﴿ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ يعنى : صلب الرجل وترائب المرأة ، وهو صدرها. وعن ابن عباس : ﴿ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾: صلب

---

(١) المسند (٤ / ٣٣٥) وقال الهيثمى فى الزوائد (٧ / ١٣٩) : « عبد الرحمن ذكره ابن أبى حاتم ولم يجرحه أحد وبقية رجاله ثقات » .

(٢) النسائى فى الكبرى (١١٦٦٤) ، ورواه البخارى (٧٠٥) بلفظ قريب منه .

(٣) البخارى (٥٢٤٣) .

الرجل وترائب المرأة ، أصفر رقيق ، لا يكون الولد إلا منهما . وكذا قال سعيد بن جُبَير ، وعكرمة، وقتادة والسُّدِّى ،وغيرهم . وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ قال: هذه الترائب. ووضع يده على صدره. وقال الضحاك وعطية، عن ابن عباس: تَرِيبة المرأة موضع القلادة. وكذا قال عكرمة ، وسعيد بن جُبَير . وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : الترائب : بين ثدييها. وعن مجاهد : الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر . وعنه أيضا : الترائب أسفل من التراقى. وعن قتادة : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ : من بين صلبه ونحره .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما :على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذى خرج منه لقادر على ذلك . قاله مجاهد ، وعكرمة ، وغيرهما .

والقول الثانى :إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق ، أى : إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر ؛ لأن من قدر على البدء قدر على الإعادة .

وقد ذكر الله ،عز وجل ،هذا الدليل فى القرآن فى غير ما موضع،وهذا القول قال به الضحاك، واختاره ابن جرير ، ولهذا قال : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ أى : يوم القيامة تبلى فيه السرائر، أى : تظهر وتبدو، ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا .وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال :« يرفع لكل غادر لواء عند استه ، يقال : هذه غَدْرَةُ فلان بن فلان » (١).

وقوله : ﴿ فَمَا لَهُ ﴾ أى : الإنسان يوم القيامة ﴿ مِن قُوَّةٍ ﴾ أى : فى نفسه ﴿ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ أى : من خارج منه ، أى : لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ، ولا يستطيع له أحد ذلك .

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝ ﴾

قال ابن عباس: الرجع: المطر. وعنه : هو السحاب فيه المطر . وعنه : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ : تمطر ثم تمطر. وقال قتادة : ترجع رزق العباد كل عام ، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم .وقال ابن زيد : ترجع نجومها وشمسها وقمرها ، يأتين من هاهنا . ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ قال ابن عباس : هو انصداعها عن النبات . وكذا قال سعيد بن جُبَير، وعكرمة ، وقتادة ، وغير واحد .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ : قال ابن عباس : حق . وكذا قال قتادة .وقال آخر : حكم عدل . ﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ أى : بل هو حق جد .

ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله، فقال : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ أى: يمكرون بالناس فى دعوتهم إلى خلاف القرآن .ثم قال: ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ ﴾ أى: انظرهم ولا تستعجل لهم ، ﴿ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ أى: قليلا . أى : وترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك، كما قال : ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان:٢٤] .

---

(١) البخارى (٣١٨٨) ومسلم (١٧٣٥ / ٩) .

تفسير سورة سبح
وهى مكية

والدليلُ على ذلك ما رواه البخارى عن البراء بن عازب قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبى ﷺ مصعب بن عمير وابنُ أمّ مكتوم ، فجعلا يُقرئاننا القرآن . ثم جاء عمار وبلال وسعد . ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين. ثم جاء النبى ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول الله ﷺ قد جاء ، فما جاء حتى قرأت : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ فى سُوَر مثلها (١) .

وثبت فى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : « هلا صَلّيت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى » (٢) . وروى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير : أن رسول الله ﷺ قرأ فى العيدين بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، و ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ ، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا . وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ، وابن ماجه ، ولفظ مسلم وأهل السنن: كان يقرأ فى العيدين ويوم الجمعة بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾، و﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ ، وربما اجتمعا فى يوم واحد فقرأهما (٣). وقد روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى بن كعب، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الرحمن بن أبزَى ، وعائشة أم المؤمنين : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى الوتر بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، و ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ـ زادت عائشة : والمعوذتين(٤) . وهكذا رُوى هذا الحديث من طريق جابر وأبى أمامَة صُدَىّ بن عجلان ، وعبد الله بن مسعود ، وعمران بن حصين ، وعلى بن أبى طالب ، ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسر من أسانيد ذلك ومتونه ولكن فى الإرشاد بهذا الاختصار كفاية ، والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ربع

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝ ﴾

عن عبد خير قال : سمعت عليا قرأ: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، فقال : سبحان ربى الأعلى . وروى ابن جرير: أن ابن عباس كان إذا قرأ : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ يقول: سبحان ربى الأعلى ، وإذا قرأ : ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [القيامة:١] فأتى على آخرها : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾

(١) البخارى (٤٩٤١) . (٢) البخارى (٥٠٧) ومسلم (٤٦٥ / ١٧٨) .
(٣) المسند (٤ / ٢٧١) ومسلم (٨٧٨/ ٦٢) وأبو داود (١١٢٢) والترمذى (٥٣٣) والنسائى (١٥٦٨) وابن ماجه (١٢٨١) .
(٤) المسند (٥ / ١٢٣) عن أبى ، (٢٧٢٠) عن ابن عباس ، (٣ / ٤٠٦) عن ابن أبزى ، (٦/ ٢٢٧) عن عائشة . وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » .

[القيامة: ٤٠] يقول: سبحانك وبلى [١].

وقوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ أي: خلق الخليقة وسوّى كل مخلوق في أحسن الهيئات. وقوله: ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها. وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] أي: قدر قدرا، وهدى الخلائق إليه، كما ثبت في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عَمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قَدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء» [٢]. وقوله: ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴾ أي: من جميع صنوف النباتات والزروع، ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾ قال ابن عباس: هشيما متغيرا. وعن مجاهد، وقتادة، وابن زيد، نحوه.

وقوله: ﴿ سَنُقْرِئُكَ ﴾ أي: يا محمد ﴿ فَلَا تَنسَىٰ ﴾. وهذا إخبار من الله، عز وجل، ووعد منه له، بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها، ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾. وهذا اختيار ابن جرير. وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئا إلا ما شاء الله. وقيل: المراد بقوله: ﴿ فَلَا تَنسَىٰ ﴾: طلب، وجعل معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ، أي: لا تنسى ما نقرئك إلا ما شاء الله رفعه؛ فلا عليك أن تتركه. وقوله: ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ أي: يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء. وقوله: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ أي: نسهل عليك أفعال الخير وأقواله، ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا، لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر.

وقوله: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ أي: ذكِّر حيث تنفع التذكرة. ومن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله، كما قال أمير المؤمنين علي: ما أنت بمحدِّث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم. وقال: حدِّث الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّب اللهُ ورسوله؟! وقوله: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ أي: سينتفع بما تبلغه ـ يا محمد ـ من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه، ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى. الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ. ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ أي: لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه، بل هي مضرة عليه؛ لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب، وأنواع النكال. روى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون، وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء، فيأخذ الرجلُ أنصاره فينبتهم ـ أو قال: ينبتون ـ في نهر الحياء ـ أو قال: الحياة ـ أو قال: الحيوان ـ أو قال: نهر الجنة فينبتون ـ نبات الحبَّة في حميل السيل». قال: وقال النبي ﷺ: «أما ترون الشجرة تكون خضراء، ثم تكون صفراء أو قال: تكون صفراء ثم تكون خضراء؟». قال: فقال بعضهم: كأن النبي ﷺ كان بالبادية [٣].

وروى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أناس ـ أو كما قال ـ تصيبهم النار بذنوبهم ـ أو قال: بخطاياهم ـ فيميتهم إماتة، حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فَبُثُّوا

---

(١) ابن جرير في التفسير (٣٠/ ٩٦).
(٢) مسلم (٢٦٥٣/ ١٦).
(٣) المسند (٣/ ٥) وابن ماجه (٤٣٠٩)، وصححه الألباني.

على أنهار الجنة ، فيقال: يا أهل الجنة ، اقبضوا عليهم . فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل». قال: فقال رجل من القوم حينئذ : كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية . ورواه مسلم [١]. ورواه أحمد أيضا عن أبى سعيد، عن النبى ﷺ قال : « إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة ، حتى يصيروا فحماً ، ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة ،فيرش عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبَّة فى حَميل السيل» [٢] .

وقد قال الله إخبارا عن أهل النار : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف:٧٧] ، وقال تعالى: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر:٣٦] . إلى غير ذلك من الآيات فى هذا المعنى .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾

يقول تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ أى : طهَّر نفسه من الأخلاق الرذيلة ، وتابع ما أنزل الله على الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ أى: أقام الصلاة فى أوقاتها ؛ ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالا لشرع الله . وكذا قال ابن عباس: إن المراد بذلك الصلوات الخمس. واختاره ابن جرير .وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر، ويتلو هذه الآية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾. وقال أبو الأحوص : إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة ، فليقدم بين يدى صلاته زكاته ، فإن الله يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾. وقال قتادة فى هذه الآية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ :زكى ماله وأرضى خالقه.

ثم قال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أى : تقدمونها على أمر الآخرة ، وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم فى معاشكم ومعادكم ، ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ أى : ثواب الله فى الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى ، فإن الدنيا دنيَّة فانية ، والآخرة شريفة باقية ، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريبا، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟! روى الإمام أحمد عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا دَارُ من لا دارَ له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » [٣] . وروى ابن جرير عن عَرْفَجة الثقفى قال: استقرأت ابن مسعود: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ فلما بلغ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ترك القراءة ، وأقبل على أصحابه وقال : آثرنا الدنيا على الآخرة . فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها ، وزُويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل [٤] .وهذا منه على وجه التواضع والهضم ، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو ، والله أعلم. وقد روى الإمام أحمد عن أبى موسى الأشعرى : أن رسول الله ﷺ

---

(١) المسند (٣/ ١١) ومسلم (١٨٥ /٣٠٦) . (٢) المسند (٣/ ٢٠) ومسلم (١٨٥ /٣٠٦) .
(٣) المسند (٦/ ٧١)وقال الهيثمى فى الزوائد (١٠/ ٢٩١) :« رجاله رجال الصحيح غير دويد وهو ثقة » .
(٤) ابن جرير فى التفسير (٣٠ / ١٠٠) .

قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومَن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه ، فآثروا ما يبقَى على ما يفنى» . تفرد به أحمد[1] .

وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ روى الحافظ أبو بكر البزار عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ قال النبي ﷺ : « كان كل هذا ـ أو: كان هذا ـ في صحف إبراهيم وموسى» [2] .ثم قال : لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس غير هذا، وحديثا آخر أورده قبل هذا. وروى النسائي عن ابن عباس قال : لما نزلت: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: كلها في صحف إبراهيم وموسى، فلما نزلت: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم:٣٧] قال : وفّى ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم:٣٨] [3]. يعني أن هذه الآية كقوله في سورة «النجم»: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ . أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ . وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ . وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٣٦ : ٤٢]. . . الآيات إلى آخرهن. وقال أبو العالية: قصة هذه السورة في الصحف الأولى. واختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾، ثم قال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ أي: مضمون هذا الكلام ﴿ لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [4] . وهذا اختيار حسن قوي . وقد رُوي عن قتادة وابن زيد ، نحوُه . والله أعلم .

---

(١) المسند (٤/٤١٢) وقال الهيثمي في الزوائد (١٠/٢٥٢) :« رواه أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات » .

(٢) البزار في المسند (٢٢٨٥ كشف الأستار) وقال الهيثمي في الزوائد (٧/ ١٤٠) :« فيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٣) النسائي في الكبرى (١١٦٦٨) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٠) وقال:« حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

(٤) ابن جرير في التفسير (٣٠/١٠١) .

openkandil.com

تفسير سورة الغاشية

وهى مكية

قد تقدم عن النعمان بن بَشير :أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾، والغاشية فى صلاة العيد ويوم الجمعة[١] . وروى الإمام مالك : أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير : بم كان رسول الله ﷺ يقرأ فى الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ .ورواه أبو داود والنسائى ومسلم وابن ماجه [٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝ ﴾

الغاشية : من أسماء يوم القيامة : قاله ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد ؛ لأنها تغشى الناس وتَعُمّهم .

وقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ أى : ذليلة . قاله قتادة . وقال ابن عباس : تخشع ولا ينفعها عملها .

وقوله : ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ أى : قد عملت عملاً كثيراً ، ونَصبت فيه ، وصَليت يوم القيامة ناراً حامية .وقال البخارى : قال ابن عباس :﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾: النصارى .وعن عكرمة،والسدى:﴿ عَامِلَةٌ ﴾ فى الدنيا بالمعاصى ﴿ نَّاصِبَةٌ ﴾ فى النار بالعذاب والأغلال .قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ أى : حارة شديدة الحر ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾ أى : قد انتهى حَرّها وغليانها . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، والسّدى .

وقوله : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : شجر من نار. وقال سعيد بن جبير : هو الزقوم . وعنه : أنها الحجارة . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو الجوزاء ، وقتادة : هو الشِّبرِقُ . قال قتادة : قريش تسميه فى الربيع: الشِّبرِقُ ، وفى الصيف: الضريع . قال عكرمة : وهو شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض .وقال البخارى : قال مجاهد : الضريعُ نبتٌ يقال له : الشِّبرِقُ ، يسميه أهل الحجاز : الضريعَ إذا يبس ، وهو سم [٣] . وقوله : ﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ يعنى : لا يحصل به مقصود ، ولا يندفع به محذور .

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝

(١) مضى تخريجه فى أول سورة الأعلى .
(٢) مالك فى الموطأ (١/ ١١١) وأبو داود (١١٢٣) والنسائى (١٤٢٣) ومسلم (٨٧٨/ ٦٢) وابن ماجه (١١١٩).
(٣) البخارى (٨ / ٧٠٠ فتح) .

وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾

لما ذكر حال الأشقياء، ثنى بذكر السعداء فقال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ أى: يوم القيامة ﴿ نَاعِمَةٌ ﴾ أى: يعرف النعيم فيها. وإنما حَصَل لها ذلك بسعيها. وقال سفيان: ﴿ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾: قد رضيت عملها.

وقوله: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ أى: رفيعة بهية فى الغرفات آمنون، ﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ أى: لا تسمع فى الجنة التى هم فيها كلمة لغو. كما قال: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [مريم:٦٢]، وقال: ﴿ لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ [الطور:٢٣]، وقال: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا. إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ [الواقعة:٢٥، ٢٦]. ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ أى: سارحة. وهذه نكرة فى سياق الإثبات، وليس المراد بها عينا واحدة، وإنما هذا جنس، يعنى: فيها عيون جاريات. عن أبى هُرَيرة قال: قال النبى ﷺ: « أنهار الجنة تفجر من تحت تلال ـ أو: من تحت جبال ـ المسك »[1]. ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾ أى: عالية ناعمة كثيرة الفرش، مرتفعة السَّمْك، عليها الحور العين ﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ يعنى: أوانى الشرب معدة مُرصدة لمن أرادها من أربابها، ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ قال ابن عباس: النمارق: الوسائد. وكذا قال عكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدى، والثورى، وغيرهم. وقوله: ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ قال ابن عباس: الزرابى: البسط. وكذا قال الضحاك، وغير واحد. ومعنى مبثوثة، أى: هاهنا وهاهنا لمن أراد الجلوس عليها.

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾

يقول تعالى آمراً عباده بالنظر فى مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾؟ فإنها خَلق عجيب، وتركيبها غريب، فإنها فى غاية القوة والشدة، وهى مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل، وينتفع بوبرها، ويشرب لبنها. ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل، وكان شريح القاضى يقول: اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت؟ أى: كيف رفعها الله، عز وجل، عن الأرض هذا الرفع العظيم، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق:٦].

﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ أى: جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن. ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ أى: كيف بسطت ومدت ومهدت، فنبَّه البدوى على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى هو راكب عليه، والسماء التى فوق رأسه، والجبل الذى تجاهه، والأرض التى تحته ـ على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الرب العظيم الخالق المتصرف المالك، وأنه الإله الذى لا يستحق العبادة سواه. وهكذا أقسم « ضِمَام » فى سؤاله

---

(١) ابن حبان فى صحيحه (٢٦٢٢ موارد).

على رسول الله ﷺ ، كما رواه الإمام أحمد عن أنس قال : كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء ، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد ، إنه أتانا رسولُك فزعَم لنا أنك تَزعُم ان الله أرسلك . قال : « صدق » . قال: فمن خلق السماء ؟ قال : «الله ». قال : فمن خلق الأرض؟ قال : « الله » . قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال : « الله » . قال : فبالذى خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال، آللهُ أرسلك ؟ قال : « نعم» . قال : وزعم رسولُك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا. قال : « صدق » . قال : فبالذى أرسلك ، آلله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا ؟ قال: «صدق » . قال : فبالذى أرسلك ، آلله أمرك بهذا ؟ . قال : «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا حَجّ البيت من استطاع إليه سبيلا . قالُ : «صدق» . قال : ثم ولى فقال: والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن شيئا . فقال النبى ﷺ : «إن صدق ليدخُلَنّ الجنة ». وقد رواه مسلم، وعلّقه البخارى، ورواه الترمذى والنسائى[1]. ورواه الإمام أحمد والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن أنس ، به بطوله ، وقال فى آخره :« وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر »[2].

وقوله : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ أى : فذكر ـ يا محمد ـ الناس بما أرسلت به إليهم ، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ؛ ولهذا قال: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد، وغيرهما: لست عليهم بجبار .وقال ابن زيد : لست بالذى تكرههم على الإيمان . وروى الإمام أحمد عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ،وحسابهم على الله عز وجل ». ثم قرأ: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ .وهكذا رواه مسلم والترمذى والنسائى بهذه الزيادة[3] . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من رواية أبى هريرة ، بدون ذكر هذه الآية[4] .

وقوله : ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ أى : تولى عن العمل بأركانه ، وكفر بالحق بجنانه ولسانه . وهذه كقوله: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ . وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [القيامة: ٣١ ، ٣٢]. ولهذا قال: ﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾ . روى الإمام احمد : أن أبا أمامة الباهلى مَرّ على خالد بن يزيد بن معاوية، فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا كلكم يدخل الجنة ، إلا من شَرَد على الله شَراد البعير على أهله ».تفرد بإخراجه الإمام أحمد[5]. وقوله : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ أى: مرجعهم ومنقلبهم ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ أى : نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

---

(١) المسند (٣/١٤٣) ومسلم (١٢/ ١٠). ورواه البخارى (١/١٤٨ فتح) والترمذى (٦١٩) والنسائى فى الكبرى (٢٤٠١).
(٢) المسند (٣/١٦٨) والبخارى (٦٣) وأبو داود (٤٨٦) والنسائى فى الكبرى (٢٤٠٢) وابن ماجه (١٤٠٢).
(٣) المسند (٣/ ٣٠٠) ومسلم (٢١/ ٣٣) والترمذى (٣٣٤١)والنسائى فى الكبرى (١١٦٧٠) .
(٤) البخارى (٢٩٤٦) ومسلم (٢١/ ٣٤) .
(٥) المسند (٥/٢٥٨)، وقال الهيثمى فى الزوائد (١٠ /٤٠٦):«رجاله رجال الصحيح غير على بن خالد الدؤلى وهو ثقة».

تفسير سورة الفجر

وهى مكية

روى النسائى عن جابر قال : صلى معاذ صلاةً ، فجاء رجل فصلى معه فطَوّل ، فصلى فى ناحية المسجد ثم انصرف ، فبلغ ذلك معاذا فقال : منافق . فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى، فقال : يا رسول الله ، جئت أصلى معه فَطَوّل عَلَىّ ، فانصرفت وصليتُ فى ناحية المسجد ، فعلفت ناضحى. فقال رسول الله ﷺ : « أفتّان يا معاذ ؟ اين انت من ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعلى ﴾ و﴿الشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ و﴿الْفَجْرِ ﴾ و﴿ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ » (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝ ﴾

أما الفجر فمعروف،وهو : الصبح . قاله على ،وابن عباس ، ومجاهد ،وعكرمة ، والسدى . وعن مسروق ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب : المراد به فجر يوم النحر خاصة ، وهو خاتمة الليالى العشر .وقيل : المراد بذلك الصلاة التى تفعل عنده ، كما قاله عكرمة .وقيل : المراد به جميع النهار. وهو رواية عن ابن عباس .

والليالى العشر : المراد بها عشر ذى الحجة . كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد ، وغير واحد من السلف والخلف.وقد ثبت فى صحيح البخارى ،عن ابن عباس مرفوعا :« ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام » ـ يعنى عشر ذى الحجة ـ قالوا:ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال: « ولا الجهاد فى سبيل الله ، إلا رجلا خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشىء » (٢). وقيل : المراد بذلك العشر الأول من المحرم . والصحيح القول الأول .

وقوله :﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾: قيل : الوتر يوم عرفة ، لكونه التاسع ،وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر . وقاله ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك أيضا .

قول ثان : عن واصل بن السائب قال : سألت عطاء عن قوله :﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قلتُ : صلاتنا وترنا هذا ؟ قال : لا، ولكن الشفع يوم عرفة ، والوتر ليلة الأضحى .

قول ثالث : عن عبد الله بن الزبير قال: الشفع قول الله ، عز وجل:﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾، والوتر قوله : ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة :٢٠٣]. وفى الصحيحين من رواية أبى هُرَيرة، عن رسول الله ﷺ : « إن لله تسعًا وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو

(١) النسائى فى الكبرى (١١٦٧٣) .
(٢) البخارى (٩٦٩) .

وتر يحب الوتر »[1] .

قول رابع : قال الحسن البصرى ،وزيد بن أسلم : الخلق كلهم شفع ،ووتر، أقسم تعالى بخلقه.وهو رواية عن مجاهد ، والمشهور عنه الأول .وقال ابن عباس :﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ قال: الله وتر واحد ،وأنتم شفع . ويقال : الشفع صلاة الغداة ، والوتر : صلاة المغرب .

قول خامس : عن مجاهد :﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ قال: الشفع: الزوج ،والوتر: الله عز وجل .وعنه: الله الوتر ، وخلقه الشفع ،الذكر والأنثى . وعنه:﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾:كل شيء خلقه الله شفع،السماء والأرض، والبر والبحر ، والجن والإنس،والشمس والقمر ، ونحو هذا . ونحا مجاهد فى هذا ما ذكروه فى قوله تعالى:﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات : ٤٩] أى : لتعلموا أن خالق الأزواج واحد .

قول سادس : قال قتادة ، عن الحسن :﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ : هو العدد ،منه شفع ومنه وتر.

قول سابع : قال أبو العالية، والربيع بن أنس ، وغيرهما : هى الصلاة ،منها شفع كالرباعية والثنائية، ومنها وتر كالمغرب ،فإنها ثلاث ، وهى وتر النهار .وكذلك صلاة الوتر فى آخر التهجد من الليل .

ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال فى الشفع والوتر .

وقوله :﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾:قال ابن عباس : أى إذا ذهب .وقال عبد الله بن الزبير : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ : حتى يذهب بعضه بعضا . وقال مجاهد ، وأبو العالية ،وقتادة ، ومالك ، عن زيد بن أسلم وابن زيد : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ إذا سار . وهذا يمكن حمله على ما قاله ابن عباس ، أى : ذهب . ويحتمل أن يكون المراد: إذا سار ، أى: أقبل . وقد يقال : إن هذا أنسب ؛ لأنه فى مقابلة قوله : ﴿وَالْفَجْرِ ﴾ ، فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل ، فإذا حمل قوله: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ على إقباله كان قَسَماً بإقبال الليل وإدبار النهار ، وبالعكس ، كقوله: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير:١٧،١٨] . وكذا قال الضحاك:﴿ إِذَا يَسْرِ ﴾ أى : يجرى .وقال عكرمة : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ يعنى : ليلة جَمْع . رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم .

وقوله : ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ أى: لذى عقل ولب وحجا ودين ،وإنما سمى العقل حجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطى ما لا يليق به من الأفعال والأقوال ،ومنه حجرُ البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامى.ومنه حجر اليمامة ،وحَجَرَ الحاكم على فلان :إذا منعه التصرف ، ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان:٢٢]،كل هذا من قبيل واحد ،ومعنى متقارب، وهذا القسم هو بأوقات العبادة،وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التى يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له،الخائفون منه،المتواضعون لديه،الخاشعون لوجهه الكريم .

ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾، وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين ، خارجين عن طاعته مكذبين لرسله ، جاحدين لكتبه . فذكر تعالى كيف

---

(١) البخارى (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧/٥) .

أهلكهم ودمرهم ،وجعلهم أحاديث وعبرا ، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ وهؤلاء عاد الأولى، وهم أولاد عاد بن إرم بن عَوص بن سام بن نوح ، قاله ابن إسحاق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هوداً ، عليه السلام ، فكذبوه وخالفوه ، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم ، وأهلكهم بريح صرصر عاتية ، ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ . فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٧، ٨] .وقد ذكر الله قصتهم فى القرآن فى غير ما موضع ، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون . فقوله تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ : عطف بيان ؛ زيادة تعريف بهم .

وقوله : ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ : لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشَّعر التى ترفع بالأعمدة الشداد ، وقد كانوا أشد الناس فى زمانهم خلقة وأقواهم بطشا ، ولهذا ذكَّرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها فى طاعة ربهم الذى خلقهم ، فقال : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] (١) ﴾ [الأعراف:٦٩]. وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥] ، وقال هاهنا : ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ أى : القبيلة التى لم يخلق مثلها فى بلادهم ، لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم . قال مجاهد: إرم: أمة قديمة . يعنى : عادا الأولى ، كما قال قتادة بن دعامة ، والسُّدِّىُّ : إن إرم بيت مملكة عاد . وهذا قول حسن جيد قوى .وقال مجاهد ، وقتادة ، والكلبى فى قوله : ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ : كانوا أهل عمود لا يقيمون . وقال ابن عباس : إنما قيل لهم : ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ لطولهم . واختار الأول ابنُ جرير ، ورد الثانى فأصاب .

وقوله :﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾: أعاد ابن زيد الضميرَ على العماد ؛ لارتفاعها ، وقال: بنوا عُمُدا بالأحقاف لم يخلق مثلها فى البلاد . وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة، أى : لم يخلق مثل تلك القبيلة فى البلاد ، يعنى فى زمانهم . وهذا القول هو الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف ؛ لأنه لو كان أراد ذلك لقال : التى لم يعمل مثلها فى البلاد، وإنما قال: ﴿ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ . قلت : فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها ، أو أعمدة بيوتهم للبدو ، أو سلاحا يقاتلون به ، أو طول الواحد منهم ـ فهم قبيلة وأمة من الأمم ، وهم المذكورون فى القرآن فى غير ما موضع ، المقرونون بثمود كما هاهنا ، والله أعلم . وقال ابن إسحاق : كانوا عربا ، وكان منزلهم بوادى القرى . وقد ذكرنا قصة « عاد » مستقصاة فى سورة « الأعراف » بما أغنى عن إعادته .

وقوله : ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ قال ابن عباس : الأوتاد : الجنود الذين يشدون له أمره .ويقال : كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم فى أوتاد من حَديد يعلقهم بها . وكذا قال مجاهد : كان يوتد الناس بالأوتاد . وهكذا قال سعيد بن جبير ، والحسن ، والسدى . ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ أى: تمردوا وعتوا وعاثوا فى الأرض بالإفساد والأذيَّة للناس ، ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ أى: أنزل عليهم رجزاً من السماء ، وأحل بهم عقوبة لا يَرُدّها عن القوم المجرمين. وقوله :﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ قال ابن عباس: يسمع ويرى . يعنى: يرصد خلقه فيما يعملون ، ويجازى كلا بسعيه فى الدنيا والأخرى ، وسيعرض الخلائق كلهم عليه ، فيحكم فيهم بعدله، ويقابل كلا بما يستحقه . وهو المنزه عن الظلم والجور .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة بدلها : « ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » وهو خطأ .

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾

يقول تعالى منكراً على الإنسان فى اعتقاده إذا وسع الله عليه فى الرزق ليختبره فى ذلك ، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك ، بل هو ابتلاء وامتحان . كما قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٥ ، ٥٦] . وكذلك فى الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيّق عليه فى الرزق ، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له . قال الله : ﴿ كَلَّا ﴾ أى : ليس الأمر كما زعم ، لا فى هذا ولا فى هذا ، فإن الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب ، ويضيق على من يحب ومن لا يحب ، وإنما المدار فى ذلك على طاعة الله فى كل من الحالين، إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك ، وإذا كان فقيراً بأن يصبر .

وقوله : ﴿ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ فيه أمر بالإكرام له ، وروى أبو داود عن سهل ـ يعنى ابن سعد ـ أن رسول الله ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة » . وقرن بين إصبعيه : الوسطى والتى تلى الإبهام[1] . ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ[2] عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ يعنى: لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين، ويحث بعضهم على بعض فى ذلك ، ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ ﴾ يعنى : الميراث ﴿ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ اى : من أى جهة حصل لهم ، من حلال أو حرام، ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ أى : كثيراً ـ زاد بعضهم : فاحشا .

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة،فقال :﴿ كَلَّآ ﴾ أى : حقا ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ أى:وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال، وقام الخلائق من قبورهم لربهم،﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ يعنى:لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد ﷺ ، بعدما يسألون أولى العزم من الرسل واحداً بعد واحد ، فكلهم يقول : لست بصاحب ذاكم ، حتى تنتهى النوبة إلى محمد ﷺ فيقول : « أنا لها ، أنا لها » . فيذهب فيشفع عند الله فى أن يأتى لفصل القضاء فيشفعه الله فى ذلك ، وهى أول الشفاعات ، وهى المقام المحمود كما تقدم بيانه فى سورة «سبحان»[3] ،فيجىء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفا .

وقوله : ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ : روى الإمام مسلم عن عبد الله ــ هو ابن مسعود ــ قال : قال

(١) أبو داود (٥١٥٠) . ورواه البخارى (٦٠٠٥) .
(٢) « تحضون » : هى قراءة الجمهور ، وكذا هى قراءة الحافظ ابن كثير .
(٣) عند الآية (٧٩) .

رسول الله ﷺ : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف مَلَك يجرونها » . وهكذا رواه الترمذى (١) . وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ ﴾ أى : عمله وما كان أسلفه فى قديم دهره وحديثه ، ﴿ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ أى : وكيف تنفعه الذكرى ؟ ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ يعنى : يندم على ما كان سلف منه من المعاصى ـ إن كان عاصيا ـ ويود لو كان ازداد من الطاعات ـ إن كان طائعا ـ كما روى الإمام أحمد بن حنبل عن محمد بن أبى عَميرة ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ـ قال : لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هَرماً فى طاعة الله ، لَحَقَرَه يوم القيامة ، ولودَّ أنه يُرَدَّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب (٢) .

قال الله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾ اى : ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه، ﴿ وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ اى : وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربهم ، عز وجل ، هذا فى حق المجرمين من الخلائق والظالمين . فأما النفس الزكية المطمئنة وهى الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ ﴾ أى : إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده فى جنته، ﴿ رَاضِيَةً ﴾ أى : فى نفسها ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾ أى : قد رضيت عن الله ورضى عنها وأرضاها، ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ أى: فى جملتهم ، ﴿ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ . وهذا يقال لها عند الاحتضار ، وفى يوم القيامة أيضا ، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره ، وكذلك هاهنا .

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية، فروى عن ابن عباس : نزلت فى عثمان بن عفان . وعن بُرَيدة بن الحُصَيب : نزلت فى حمزة بن عبد المطلب . وقال ابن عباس : يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ ﴾ ، يعنى : صاحبك ، وهو بدنها الذى كانت تعمره فى الدنيا ، ﴿ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ . وروى عنه أنه كان يَقرؤها: « فادخلى فى عبدى وادخلى جنتى ». وكذا قال عكرمة والكلبى، واختاره ابن جرير ، وهو غريب ، والظاهر الأول ؛ لقوله : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ ﴾ [الأنعام:٦٢] ، ﴿ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ ﴾ [غافر:٤٣] أى : إلى حكمه والوقوف بين يديه . وعن سعيد بن جبير قال : مات ابن عباس بالطائف ، فجاء طير لم ير على خَلْقته ، فدخل نعشه ، ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تُليت هذه الآية على شفير القبر ، ما يدرى من تلاها : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ . رواه الطبرانى (٣). وقد ذكر الحافظ محمد ابن المنذر الهروى ـ المعروف بشكر ـ فى كتاب « العجائب » بسنده عن قُبَاث بن رزين أبى هاشم قال : أسرتُ فى بلاد الروم ، فجمعنا الملك وعَرَض علينا دينه ، على أن من امتنع ضربت عنقه . فارتد ثلاثة، وجاء الرابع فامتنع ، فضربت عنقه ، وألقى رأسه فى نهر هناك ، فرسب فى الماء ثم طفا على وجه الماء، ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال : يا فلان ، ويا فلان ، ويا فلان ـ يناديهم بأسمائهم ـ قال الله تعالى فى كتابه : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾. ثم غاص فى الماء، قال: فكادت النصارى أن يسلموا، ووقع سرير الملك، ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام. قال: وجاء الفداء من عند الخليفة أبى جعفر المنصور فخلصنا .

---

(١) مسلم (٢٨٤٢ / ٢٩) والترمذى (٢٥٧٣) .

(٢) المسند (٤ / ١٨٥) ، وصححه الهيثمى فى الزوائد (١ / ٥٤) .

(٣) الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠ / ٢٩٠) وقال الهيثمى فى الزوائد (٩ / ٢٨٨) : « رجاله رجال الصحيح » .

تفسير سورة البلد

وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝ ربع أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝ ﴾

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى فى حال كون الساكن فيها حالا ؛ لينبه على عظمة قدرها فى حال إحرام أهلها . قال مجاهد : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَد ﴾ : لا رد عليهم ؛ أقسم بهذا البلد . وقال ابن عباس: ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَد ﴾ يعنى: مكة، ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَد ﴾ قال : أنت ـ يا محمد ـ يحل لك أن تقابل به . وكذا رُوى عن سعيد بن جُبَير ، وقتادة . وقال مجاهد : ما أصبت فيه فهو حلال لك. وقال قتادة: ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَد ﴾ قال: أنت به من غير حَرَج ولا إثم . وقال الحسن البصرى : أحلها الله له ساعة من نهار . وهذا المعنى الذى قالوه قد وَرَد به الحديث المتفق على صحته : « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حَرَامٌ بحُرمَة الله إلى يوم القيامة ، لا يُعضَد شجره ولا يختلى خلاه . وإنما أحلت لى ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب» . وفى لفظ آخر: « فإن أحد تَرَخَّص بقتال رسول الله فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم » (١) .

وقوله: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ قال ابن عباس: الوالد : الذى يلد ،وما ولد: العاقر الذى لا يولد له . وقال عكرمة : الوالد : العاقر ، وما ولد : الذى يلد . وقال مجاهد ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، والحسن البصرى، وغيرهم:يعنى بالوالد: آدم، وما ولد: ولده .وهذا الذى ذهب إليه مجاهد وأصحابه حَسَنٌ قوى ؛ لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهى المساكن أقسم بعده بالساكن ، وهو آدم أبو البشر وولده. وقال أبو عمران الجونى : هو إبراهيم وذريته . رواه ابن جرير. واختار ابن جرير أنه عام فى كل والد وولده .

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ : رُوى عن ابن مسعود،وابن عباس ، وعكرمة، ومجاهد، وغيرهم : يعنى منتصبا ـ زاد ابن عباس فى رواية عنه: فى بطن أمه . والكبد : الاستواء والاستقامة . ومعنى هذا القول: لقد خلقنا الإنسان سويا مستقيما كقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار:٦،٧]، وكقوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤] . وقال ابن عباس : فى كبد ، قال : فى شدّة خَلْق، ألم تر إليه ... وذكر مولده ونبات أسنانه. وقال مجاهد: ﴿فِي كَبَدٍ ﴾: نطفة ،ثم علقة ، ثم مضغة يتكبد فى الخلق ،قال مجاهد : وهو كقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف:١٥]، وأرضعته كرها ، ومعيشته كره ، فهو يكابد ذلك. وقال سعيد بن

(١) البخارى (١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٨٣٢ ، ٤٢٩٥) ومسلم (١٣٥٣ / ٤٤٥) .

جبير : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ : فى شدة وطَلَب معيشة . وقال عكرمة : فى شدة وطول . وقال قتادة : فى مشقة . واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها .

وقوله : ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ : قال الحسن البصرى : يعنى أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يأخذ ماله . وقال قتادة : ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ قال : ابن آدم يظن أن لن يُسأل عن هذا المال: من أين اكتسبه؟ وأين أنفقه؟ وقال السدى : ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ قال : الله عز وجل .

وقوله : ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا﴾ أى : يقول ابن آدم : أنفقت مالا لبدا ، أى : كثيرا . قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدى ، وغيرهم . ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ قال مجاهد: أى أيحسب أن لم يره الله عز وجل. وكذا قال غيره من السلف.

وقوله : ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾ أى : يبصر بهما ، ﴿وَلِسَانًا﴾ أى : ينطق به ، فيُعبر عما فى ضميره ، ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام ، وجمالاً لوجهه وفمه .

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾: الطريقين. عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: الخير والشر . وكذا رُوى عن على ، وابن عباس ، ومجاهد، وعكرمة . ونظير هذه الآية قوله : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢، ٣].

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ۝﴾

عن ابن عمر فى قوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ قال: جبل فى جهنم . وقال كعب الأحبار : ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: هو سبعون درجة فى جهنم . وقال الحسن البصرى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ قال: عقبة فى جهنم . وقال قتادة : إنها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله عز وجل. وقال قتادة : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾. ثم أخبر عن اقتحامها فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ﴾. وقال ابن زيد: ﴿اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أى: أفلا سلك الطريق التى فيها النجاة والخير. ثم بينها فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ﴾. قرئ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بالإضافة، وقُرئ على أنه فعل، وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا القراءتين معناهما متقارب .

روى الإمام أحمد عن سعيد بن مرجانة : أنه سمع أبا هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إربا منه من النار ، حتى إنه ليعتق باليد اليد ، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج » . فقال على بن الحسين : أنتَ سَمعتَ هذا من أبى هُرَيرة ؟ فقال سعيد : نعم. فقال على بن الحسين لغلام له ـ أقْرَهَ غلمانه : ادعُ مطْرَفاً . فلما قام بين يديه قال : اذهب فأنت حُر لوجه الله. ورواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى، من طرق . وعند مسلم أن هذا الغلام الذى أعتقه على بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم (١). وروى أحمد : أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عَبسَة : حَدِّثنا حديثاً ليس فيه تَزَيُّد ولا نسيان . قال عمرو :

(١) المسند (٢ / ٤٢٢) والبخارى (٢٥١٧، ٦٧١٥) ومسلم (٩ / ١٥٠٩ / ٢١) والترمذى (١٥٤١) والنسائى فى الكبرى (٤٨٧٥).

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار ، عُضْوا بعضو . ومن شاب شيبة فى سبيل الله ، كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ ، كان كمعتق رقبة من بنى إسماعيل » . وروى أبو داود والنسائى بعضه (١) .وروى أحمد عن عمرو بن عَبَسَةَ السلمى قال : قلت له : حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وَهم . قال: سمعته يقول : « من وُلد له ثلاثة أولاد فى الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحِنْثَ ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رَمى بسهم فى سبيل الله، بلغ به العدو ، أصاب أو أخطأ ، كان له عتق رقبة. ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار، ومن أنفق زوجين فى سبيل الله، فإن للجنة ثمانية أبواب، يدخله الله من أى باب شاء منها »(٢). وهذه أسانيد جيدة قوية ، ولله الحمد .

وقوله : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ قال ابن عباس: ذى مجاعة . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وغير واحد . والسَّغَب : هو الجوع . وقال إبراهيم النَّخَعى : فى يوم الطعامُ فيه عزيزٌ . وقال قتادة : فى يوم يُشتهى فيه الطعام . وقوله : ﴿ يَتِيمًا ﴾ أى : أطعم فى مثل هذا اليوم يتيما، ﴿ ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أى : ذا قرابة منه . قاله ابن عباس، وعكرمة، والحسن، والضحاك ،والسدى . كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن سليمان بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم اثنتان ، صدقة وصلة » . وقد رواه الترمذى والنسائى، وهذا إسناد صحيح (٣) .

وقوله : ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أى : فقيرا مُدقعاً لاصقا بالتراب ، وهو الدقعاء أيضا . قال ابن عباس : ﴿ ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ هو المطروح فى الطريق، الذى لا بيت له ، ولا شىء يقيه من التراب ـ وفى رواية: هو الذى لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ، ليس له شىء ـ وفى رواية عنه : هو البعيد التربة. قال ابن أبى حاتم : يعنى الغريب عن وطنه .وقال عكرمة : هو الفقير المديون المحتاج .وقال سعيد بن جبير : هو الذى لا أحد له .وقال ابن عباس ، وسعيد ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : هو ذو العيال . وكل هذه قريبة المعنى .

وقوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى : ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة ، مؤمنٌ بقلبه ، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل . كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء:١٩] وقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ الآية [النحل:٩٧]. وقوله : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ أى : كان من المؤمنين العاملين صالحا ، المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم . كما جاء فى الحديث : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »(٤) . وفى الحديث الآخر : « لا يَرْحَم اللهُ من لا يَرْحَم الناس» (٥) . وقوله : ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ أى : المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين .

(١) المسند (٤ / ١١٣) وأبو داود (٣٩٦٦) والنسائى فى الكبرى (٤٨٨٥ ، ٤٨٨٦) ، وصححه الألبانى .
(٢) المسند (٤ / ٣٨٦) .
(٣) المسند (٤ / ٢١٤) والترمذى (٦٥٨) والنسائى (٥ / ٩٢) وقال الترمذى : « حديث حسن » .
(٤) المسند (٦٤٩٤) وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » .
(٥) مسلم (٢٣١٩ / ٦٦) .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ أى : أصحاب الشمال ، ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾ أى : مطبقة عليهم ، فلا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها . قال أبو هريرة ، وابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد : ﴿ مُؤْصَدَةٌ ﴾ أى : مطبقة ـ قال ابن عباس : مغلقة الأبواب . وقال مجاهد : أصد الباب بلغة قريش : أى أغلقه . وسيأتى فى ذلك حديث فى سورة : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ . وقال الضحاك : ﴿ مُؤْصَدَةٌ ﴾ : حيط لا باب له .وقال قتادة : ﴿ مُؤْصَدَةٌ ﴾ : مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرَج ، ولا خروج منها آخر الأبد .

obeikandl.com

تفسير سورة والشمس وضحاها

وهى مكية

تقدم حديث جابر الذى فى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : « هلا صليت بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، و ﴿ الشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ و ﴿ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ ؟ »[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝ ﴾

قال مجاهد : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ أى : وضوئها . وقال قتادة : ﴿ وَضُحَاهَا ﴾: النهار كله . قال ابن جرير : والصواب أن يقال : أقسم الله بالشمس ونهارها ؛ لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار . ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ قال مجاهد : تبعها . وقال ابن عباس : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ قال : يتلو النهار. وقال قتادة : ﴿ إِذَا تَلَاهَا ﴾ ليلة الهلال ،إذا سقطت الشمس رؤى الهلال . وقال ابن زيد : هو يتلوها فى النصف الأول من الشهر ، ثم هى تتلوه . وهو يتقدمها فى النصف الأخير من الشهر . وقال زيد بن أسلم : إذا تلاها ليلة القدر .

وقوله : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ قال مجاهد : أضاء . وقال قتادة : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ : إذا غشيها النهار . قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى : والنهار إذا جلا الظلمة ، لدلالة الكلام عليها . قلت : ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ أى : البسيطة ، لكان أولى ، ولصح تأويله فى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ ، فكان أجود وأقوى ، والله أعلم . ولهذا قال مجاهد : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ إنه كقوله : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ [الليل:٢] . وأما ابن جرير فاختار عود الضمير فى ذلك كله على الشمس ، لجريان ذكرها . وقالوا فى قوله : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يعنى : إذا يغشى الشمس حين تغيب ، فتظلم الآفاق .

وقوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾: يحتمل أن تكون « ما » هاهنا مصدرية ، بمعنى : والسماء وبنائها، وهو قول قتادة . ويحتمل أن تكون بمعنى « مَن » يعنى : والسماء وبانيها . وهو قول مجاهد ، وكلاهما متلازم ، والبناء هو الرفع ، كقوله : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أى : بقوة ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ . وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ [الذاريات:٤٧ ، ٤٨] . وهكذا قوله: ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ قال مجاهد: ﴿ طَحَاهَا ﴾: دحاها. وقال ابن عباس : ﴿وَمَا طَحَاهَا ﴾ أى : خلق فيها . وقال : ﴿ طَحَاهَا ﴾ : قسمها . وقال مجاهد، وقتادة ، وابن زيد :﴿ طَحَاهَا ﴾: بسطها . وهذا أشهر الأقوال ، وعليه الأكثر من المفسرين ، وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهرى: طحوته مثل دحوته ، أى : بسطته .

---

(١) مضى الحديث وتخريجه أول سورة الأعلى .

وقوله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ أي: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠]. وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جَمْعَاء هل تحسون فيها من جدعاء؟». أخرجاه من رواية أبي هريرة (١). وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حمار المجاشعي، عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حُنَفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم» (٢).

وقوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أي: فأرشدها إلى فجورها وتقواها، أي: بين لها ذلك، وهداها إلى ما قدر لها. قال ابن عباس: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾: بين لها الخير والشر. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والثوري. وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر. وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقواها. وروى ابن جرير عن أبي الأسود الدِّيلي قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل فيه الناس ويتكادحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قَدَر قد سبق، أو فيما يُستَقبَلُون مما أتاهم به نبيهم ﷺ، وأكدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قضي عليهم. قال: فهل يكون ذلك ظلماً؟ قال: ففزعت منه فزعاً شديداً، قال: قلت له: ليس شيء إلا وهو خَلقُه ومِلْك يَده، لا يسألُ عما يفعل وهم يسألون. قال: سددك الله، إنما سألت لأخبَرَ عقلك، إن رجلا من مُزَينة ـ أو جهينة ـ أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قَدَر قد سبق، أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم، وأكدت به عليهم الحجة؟ قال: «بل شيء قد قضي عليهم». قال: ففيم نعمل؟ قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يُهَيِّئه لها، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾». رواه أحمد ومسلم (٣).

وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾: يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه، أي: بطاعة الله ـ كما قال قتادة ـ وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل. ويُروَى نحوه عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير. وكقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]. ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ أي: دسسها، أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهُدَى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل. وقد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دَسَّى الله نفسه، كما قال ابن عباس.

وروى الطبراني عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر بهذه الآية: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ وقف، ثم قال: «اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وخير من زكاها» (٤). وروى الإمام أحمد عن عائشة: أنها فَقَدت النبي ﷺ من مضجعه، فلمسته بيدها، فوقعت عليه وهو ساجد، وهو يقول: «رب، أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»

---

(١) البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨) / ٢٢).
(٢) مسلم (٢٨٦٥ / ٦٣).
(٣) ابن جرير في التفسير (٣٠ / ١٣٥) والمسند (٤ / ٤٣٨) ومسلم (٢٦٥٠ / ١٠).
(٤) الطبراني في المعجم الكبير (١١ / ١٠٦) وقال الهيثمي في الزوائد (٧ / ١٤١): «إسناد حسن».

تفرد به[١] . وروى الإمام أحمد عن زيد بن أرقم قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم ، إنى أعوذ بك من العجز والكَسَل والهرم ، والجُبن والبخل وعذاب القبر . اللهم ، آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم ، إنى أعوذ بك من قَلْب لا يخشع ، ومن نَفْس لا تشبع ، وعِلْم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها » . قال زيد : كان رسول الله ﷺ يعلمناهن ونحن نعلمكوهن .رواه مسلم[٢] .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم ، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغى . وقال محمد بن كعب : ﴿ بِطَغْوَاهَا ﴾ أى : بأجمعها . والأول أولى ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما . فأعقبهم ذلك تكذيباً فى قلوبهم بما جاءهم به رسولهم من الهدى واليقين . ﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ أى : أشقى القبيلة ، هو قُدَار بن سالف عاقرُ الناقة ، وهو أحيمر ثمود ، وهو الذى قال تعالى : ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾ [القمر:٢٩] . وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم، شريفاً فى قومه ، نسيباً رئيساً مطاعاً ، كما روى الإمام أحمد عن عبد الله بن زَمْعَةَ قال : خطب رسول الله ﷺ ، فذكر الناقة ، وذكر الذى عقرها ، فقال: « ﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ : انبعث لها رجل عارم عزيز منيع فى رهطه ، مثل زمعة » . ورواه البخارى ومسلم ، والترمذى والنسائى[٣] .

وقوله : ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ يعنى : صالحاً ، عليه السلام: ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ ﴾ أى : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ، ﴿ وَسُقْيَاهَا ﴾ أى : لا تعتدوا عليها فى سقياها ، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم . قال الله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ أى : كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التى أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم، ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ ﴾ أى: غضب عليهم ، فدمّر عليهم ، ﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ أى : فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء . قال قتادة : بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، فلما اشترك القوم فى عقرها دمدم الله عليهم بذنوبهم فسواها .

وقوله : ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ قال ابن عباس : لا يخاف الله من أحد تبعة . وكذا قال مجاهد ، والحسن ، وبكر بن عبد الله المزنى ، وغيرهم . وقال الضحاك والسدى :﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ أى : لم يخف الذى عقرها عاقبة ما صنع والقول الأول أولى ؛ لدلالة السياق عليه ، والله أعلم .

---

(١) المسند (٦ / ٢٠٩) .
(٢) المسند (٤ / ٣٧١) ومسلم (٢٧٢٢ / ٧٣) .
(٣) المسند (٤ / ١٧) والبخارى (٤٩٤٢) ومسلم (٢٨٥٥ / ٤٩) والترمذى (٣٣٤٣) والنسائى فى الكبرى (١١٦٧٥) .

تفسير سورة الليل

وهى مكية .

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ : « فهلا صليت بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، و ﴿الشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ، و ﴿ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ ؟ » (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝ ﴾

روى الإمام أحمد عن علقمة: أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق ، فصلى فيه ركعتين وقال : اللهم ، ارزقنى جليساً صالحاً . قال : فجلس إلى أبى الدرداء ، فقال له أبو الدرداء : ممن أنت؟ قال : من أهل الكوفة . قال : كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ ؟ قال علقمة : «والذكر والأنثى». فقال أبو الدرداء : لقد سمعتها من رسول الله ﷺ، فما زال هؤلاء حتى شككونى . ثم قال : ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذى لا يعلمه أحد غيره ، والذى أجير من الشيطان على لسان النبى ﷺ ؟ (٢) . وقد رواه البخارى هاهنا ومسلم عن إبراهيم قال: قدم أصحاب عبد الله على أبى الدرداء، فطلبهم فوجدهم، فقال : أيكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا: كلنا ،قال: أيكم أحفظ ؟ فأشاروا إلى علقمة، فقال : كيف سمعته يقرأ : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ ؟ قال : «والذكر والأنثى ». قال : أشهد أنى سمعت رسولَ الله ﷺ يقرأ هكذا ، وهؤلاء يريدونى أن أقرأ : ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴾ ، والله لا أتابعهم (٣) .

هذا لفظ البخارى. هكذا قرأ ذلك ابن مسعود ، وأبو الدرداء ـ ورفعه أبوالدرداء ـ وأما الجمهور فقرؤوا ذلك كما هو المثبت فى المصحف الإمام العثمانى فى سائر الآفاق: ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴾، فأقسم تعالى بـ ﴿ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أى : إذا غَشِىَ الخليقةَ بظلامه ، ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ أى : بضيائه وإشراقه ، ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴾، كقوله : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [النبا:٨] ، وكقوله : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات:٤٩] .

ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان القسم عليه أيضاً متضاداً؛ولهذا قال:﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ أى: أعمال العباد التى اكتسبوها متضادة أيضاً ومتخالفة ، فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا ، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ أى : أعطى ما أمر بإخراجه ، واتقى الله فى أموره ، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بالمجازاة على ذلك ، قاله قتادة ، وقال خَصيف : بالثواب . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو صالح ، وزيد بن أسلم : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بالخلف . وقال أبو عبد الرحمن

(١) مضى الحديث وتخريجه أول سورة الأعلى .
(٢) المسند (٦ / ٤٤٩) .
(٣) البخارى (٤٩٤٤) ومسلم (٨٢٤ / ٢٨٢) .

السلمى ، والضحاك : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بلا إله إلا الله . وفى رواية عن عكرمة : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بما أنعم الله عليه . وفى رواية عن زيد بن أسلم : ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ قال : الصلاة والزكاة والصوم . وقال مرة : وصدقة الفطر .

وقوله : ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ قال ابن عباس: يعنى للخير . وقال زيد بن أسلم :يعنى للجنة.

وقال بعض السلف : من ثواب الحسنة الحسنةُ بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئةُ بعدها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ ﴾ أى : بما عنده ، ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ ﴾ قال ابن عباس : أى بخل بماله ، واستغنى عن ربه ، عز وجل . ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى: بالجزاء فى الدار الآخرة ، ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ أى: لطريق الشر، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٠]. والآيات فى هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله ، عز وجل ، يُجازى من قصد الخير بالتوفيق له ، ومن قصد الشر بالخذلان . وكل ذلك بقدر مُقدّر ، والأحاديثُ الدالة على هذا المعنى كثيرة:

روى البخارى عن على بن أبى طالب قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى بَقِيع الغَرْقَد فى جنازة ، فقال :« ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار». فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نتكل ؟ فقال : « اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له». قال : ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ .وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ ،إلى قوله: ﴿ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [١] . ثم رواه عن على بن أبى طالب قال: كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد ،فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخْصَرَةٌ فَنَكَسَ فجعل ينكُت بمخصرته ، ثم قال : « ما منكم من أحد ـ أو : ما من نفس منفوسة – إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » . فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكل وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء ؟ فقال : « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء » . ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ .وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ الآية . وقد أخرجه بقية الجماعة [٢]. وروى ابن جرير عن جابر بن عبد الله أنه قال : يا رسول الله ، أنعمل لأمر قد فرغ منه ، أو لأمر نستأنفه ؟ فقال:« لأمر قد فرغ منه » . فقال سراقة:ففيم العملُ إذاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « كل عامل مُيَسَّر لعمله » . ورواه مسلم [٣]. قال ابن جرير : وذكر أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق. عن عامر ابن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة ، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه : أى بنى ، أراك تعتق أناساً ضعفاء ، فلو أنك تعتق رجالا جُلَداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك ؟! فقال: أىْ أبَت ، إنما أريد ــ أظنه قال ــ ما عند الله. قال : فحدثنى بعض أهل بيتى أن هذه الآية أنزلت فيه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [٤] .

---

(١) البخارى (٤٩٤٥ ـ ٤٩٤٧) .

(٢) البخارى (٤٩٤٨) ومسلم (٢٦٤٧ / ٦) وأبو داود (٤٦٩٤) والترمذى (٣٣٤٤) .

(٣) ابن جرير فى التفسير (٣٠ / ١٤٤) ومسلم (٢٦٤٨ / ٨) .

(٤) ابن جرير فى التفسير (٣٠/ ١٤٢) .

وقوله : ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ قال مجاهد : أى إذا مات . وقال أبو صالح ، وزيد بن أسلم : إذا تردى فى النار .

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝ ﴾

قال قتادة : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ أى : نبين الحلالَ والحرامَ . وقال غيره : من سَلك طريق الهدى وَصَل إلى الله . وجعله كقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ [النحل:٩]. حكاه ابن جرير . وقوله : ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ أى : الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما .

وقوله : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ : قال مجاهد : أى توهج . روى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجلٌ توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منها دماغه ». رواه البخارى [١] . وروى مسلم عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يَغلى منهما دماغه كما يَغْلى المِرْجَل،ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً،وإنه لأهونهم عذابا »[٢] .

وقوله :﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ أى :لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى. ثم فسره فقال : ﴿ الَّذِي كَذَّبَ ﴾ أى : بقلبه ، ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أى : عن العمل بجوارحه وأركانه . روى الإمام أحمد عن أبى هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ : «كل أمتى تدخل الجنة يوم القيامة إلامن أبى ». قالوا: ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : « من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » .ورواه البخارى [٣] .

وقوله : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ أى : وسيُزَحزح عن النار التقى النقى الأتقى . ثم فسره بقوله : ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ أى : يصرف ماله فى طاعة ربه ؛ ليزكى نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا، ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾ أى :ليس بَذْله ماله فى مكافأة من أسدى إليه معروفاً، فهو يعطى فى مقابلة ذلك ، وإنما دفعه ذلك ﴿ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾ أى : طمعاً فى أن يحصل له رؤيته فى الدار الآخرة فى روضات الجنات ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ أى : ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك.ولا شك أنه داخل فيها ،وأولى الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى . الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ . وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾ ،ولكنه مقدم الأمة وسابقهم فى جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة ؛ فإنه كان صديقاً تقياً كريما جواداً بذالا لأمواله فى طاعة مولاه ، ونصرة رسول الله ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه

---

(١) المسند (٤ / ٢٧٤) والبخارى (٦٥٦١ ، ٦٥٦٢) .

(٢) مسلم (٢١٣ / ٣٦٣) .

(٣) المسند (٢ / ٣٦١) والبخارى (٧٢٨٠) .

الكريم ، ولم يكن لأحد من الناس عنده منّةٌ يحتاج إلى أن يكافئه بها ، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ؛ ولهذا قال له عروة بن مسعود ـ وهو سيد ثقيف ، يوم صلح الحديبية : أما والله لولا يد لك كانت عندى لم أجزك بها لأجبتك . وكان الصديق قد أغلظ له فى المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل ، فكيف بمن عداهم ؟ ولهذا قال: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ . وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾. وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « من أنفق زوجين فى سبيل الله دُعَته خَزَنَةُ الجنة : يا عبد الله ، هذا خير» ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، ما على من يُدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال : «نعم، وأرجو أن تكون منهم »(١).

(١) البخارى (٢٨٤١) ومسلم (١٠٢٧ / ٨٥) .

تفسير سورة الضحى
وهى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾

روى الإمام أحمد عن جندب قال: اشتكى النبى ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتت امرأة فقالت: يا محمد ، ما أرى شيطانك إلا قد تركك . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ . رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن جرير (١) . وقد ذكر بعض السلف ـ منهم ابن إسحاق ـ أن هذه السورة هى التى أوحاها جبريل إلى رسول الله ﷺ ، حين تبدى له فى صورته التى خلقه الله عليها ، ودنا إليه وتدلى منهبطاً عليه وهو بالأبطح، ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠]. قال : قال له هذه السورة : ﴿ وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ . قال ابن عباس : لما نَزَلَ على رسول الله ﷺ القرآن ، أبطأ عنه جبريل أياما ، فتغير بذلك ، فقال المشركون : ودعه ربه وقلاه . فأنزل الله : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ .

وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء ، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ أى : سكن فاظلم وادلَهَم . قاله مجاهد ، وقتادة ،وابن زيد ، وغيرهم . وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا ، كما قال : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ [الليل: ١ ، ٢] ،وقال : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام: ٩٦] .

وقوله : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ أى : ما تركك ، ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ أى : وما أبغضك ، ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ أى : والدار الآخرة خير لك من هذه الدار . ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس فى الدنيا ، وأعظمهم لها إطراحاً ، كما هو معلوم من سيرته . ولما خُيِّرَ ، عليه السلام ، فى آخر عمره بين الخلد فى الدنيا إلى آخرها ثم الجنة ،وبين الصيرورة إلى الله عز وجل ، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية . روى الإمام أحمد عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير ، فأثر فى جنبه ، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت : يا رسول الله ، ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ما لى وللدنيا ؟ ! ما أنا والدنيا ؟ ! إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب ظَلّ تحت شجرة ، ثم راح وتركها ». ورواه الترمذى وابن ماجه ، وقال الترمذى :

---

(١) المسند (٤ / ٣١٢) والبخارى (١١٢٤، ١١٢٥، ٤٩٥٠، ٤٩٥١، ٤٩٨٣) ومسلم (١٧٩٧/ ١١٤)، والترمذى (٣٣٤٥) وابن ماجه (٣٢٥٠) وابن جرير فى التفسير (٣٠/ ١٤٨) .

حسن صحيح [١] .

وقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ أى : فى الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه فى أمته ، وفيما أعدَّ له من الكرامة ، ومن جملته نهر الكوثر الذى حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، وطينه مسك أذفر . عن عبد الله بن عباس قال : عرض على رسول الله ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزاً كنزاً، فسر بذلك ، فأنزل الله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ فأعطاه فى الجنة ألف ألف قصر ، فى كل قصر ما ينبغى له من الأزواج والخدم . رواه ابن جرير [٢]، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس : ومثلُ هذا ما يقال إلا عن توقيف. وقال السدى ، عن ابن عباس : من رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار . رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم . وقال الحسن : يعنى بذلك الشفاعة . وهكذا قال أبو جعفر الباقر .

ثم قال تعالى يعدد نعَمه على عبده ورسوله محمد ، صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ ، وذلك أن أباه تُوفّى وهو حَملٌ فى بطن أمه ، وقيل : بعد أن ولد ، عليه السلام ، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين . ثم كان فى كفالة جده عبد المطلب ، إلى أن توفى وله من العمر ثمانى سنين ، فكفله عمه أبو طالب . ثم لم يزل يحوطه وينصره ويَرفع من قَدره ويُوقّره ، ويكفّ عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان ، وكل ذلك بقدر الله وحُسن تدبيره ، إلى أن تُوفى أبو طالب قبل الهجرة بقليل ، فأقدم عليه سفهاء قريش وجُهالهم ، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج ، كما أجرى الله سنّته على الوجه الأتم والأكمل . فلما وصل إليهم آوَوه ونَصَرُوه وحاطوه وقاتلوا بين يديه ، رضى الله عنهم أجمعين ، وكل هذا من حفظ الله له وكَلاءته وعنايته به .

وقوله : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ كقوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الآية [الشورى: ٥٢] . وقوله : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ أى : كنت فقيراً ذا عيال ، فأغناك الله عمن سواه ، فجمع له بين مقامى الفقير الصابر والغنى الشاكر ، صلوات الله وسلامه عليه . وقال قتادة فى قوله : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ قال: كانت هذه منازل الرسول ﷺ قبل أن يبعثه الله ، عز وجل . وفى الصحيحين عن أبى هُرَيرة قال :قال رسول الله ﷺ :« ليس الغنى عن كثرة العَرَض،ولكن الغنى غنى النفس» [٣]. وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافاً ، وقنعه الله بما آتاه » [٤] .

ثم قال : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ أى : كما كنت يتيماً فآواك الله فلا تقهر اليتيم ، أى : لا تذله وتنهره وتهنه ، ولكن أحسِنْ إليه ، وتلطف به . قال قتادة : كن لليتيم كالأب الرحيم. ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ أى : وكما كنت ضالاً فهداك الله ،فلا تنهر السائل فى العلم المسترشد . قال ابن إسحاق :

---

(١) المسند (٣٧٠٩) والترمذى (٢٣٧٧) وابن ماجه (٤١٠٩) . وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » .
(٢) ابن جرير فى التفسير (٣٠/١٤٩) .
(٣) البخارى (٦٤٤٦) ، ومسلم (١٠٥١ / ١٢٠) .
(٤) مسلم (١٠٥٤ / ١٢٥) .

﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ أى : فلا تكن جباراً ، ولا متكبراً ، ولا فَحَّاشا ، ولا فَظّا على الضعفاء من عباد الله . وقال قتادة : يعنى رد المسكين برحمة ولين .

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ أى : وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله ، فحدث بنعمة الله عليك ، كما جاء فى الدعاء المأثور النبوى: « واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها ،قابليها ، وأتمها علينا » . وعن أبى نضرة قال : كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدّث بها . وروى أبو داود عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » . ورواه الترمذى ، وقال : صحيح[1] . وروى أبو داود عن جابر ، عن النبى ﷺ قال : « من أبلى بلاء فذكره فقد شكره ، وإن كتمه فقد كفره » . تفرد به أبو داود [2] . وروى أبو داود عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من أعطى عَطاء فَوَجَد فَليَجزْ به ، فإن لم يجد فَلْيُثن به ، فمن أثنى به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره ». تفرد به أبو داود [3]. وقال مجاهد: يعنى النبوة التى أعطاك ربك . وفى رواية عنه: القرآن . وقال الحسن بن على : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ قال : ما عملت من خير فَحَدّث إخوانك . وقال ابن إسحاق : ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدّث بها واذكرها ، وادع إليها . وقال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله ، وافترضت عليه الصلاة ، فصلى .

---

(١) أبو داود (٤٨١١) والترمذى (١٩٥٤) ، وصححه الألبانى .
(٢) أبو داود (٤٨١٤) ، وصححه الألبانى .
(٣) أبو داود (٤٨١٣) ، وصححه الألبانى .

تفسير سورة ألم نشرح
وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝ ﴾ ربع

يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ يعنى : أما شرحنا لك صدرك ، أى : نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً كقوله : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام:١٢٥] ، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرْعه فسيحا واسعاً سمحاً سهلا لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق . وقيل : المراد بقوله : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ : شرح صدره ليلة الإسراء [١] ، فإن من جملة شرح صدره الذى فُعِل بصدره ليلة الإسراء ، وما نشأ عنه من الشرح المعنوى أيضاً ، والله أعلم .

روى عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبى بن كعب: أن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره ، فقال : يا رسول الله ، ما أولُ ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسا وقال: « لقد سألتَ يا أبا هريرة ، إنى لفى الصحراء ابنَ عشر سنين وأشهر ، وإذا بكلام فوق رأسى ، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟ [قال:نعم] فاستقبلانى بوجوه لم أرها [لخلق] قط ،وأرواح لم أجدها من خلق قط ، وثياب لم أرها على أحد قط . فأقبلا إلى يمشيان ، حتى أخذ كل واحد منهما بعَضُدى ، لا أجد لأحدهما مسا ، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه . فأضجعانى بلا قَصْر ولا هَصْر . فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره . فهوى أحدهما إلى صدرى ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع ،فقال له : أخرج الغِلّ والحَسَد . فأخرج شيئاً كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها، فقال له : أدخل الرأفة والرحمة ، فإذا مثل الذى أخرج شبهُ الفضة ، ثم هز إبهام رجلى اليمنى فقال : اغدُ واسلم. فرجعت بها أغدو ، رقة على الصغير ، ورحمةً للكبير » [٢] .

وقوله : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ بمعنى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح:٢] ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ الإنقاض : الصوت . وقال غير واحد من السلف فى قوله : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أى : أثقلك حمله .

وقوله : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ قال مجاهد: لا أُذْكرُ إلا ذُكِرتَ معى : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . وقال قتادة : رفع اللهُ ذكرَه فى الدنيا والآخرة ،فليس خطيب ولا مُتشهد ولا صاحبُ صلاة إلا ينادى بها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله . عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « سألت ربى مسألة وَدَدْتُ أنى لم أكن سألته ، قلت : قد كانت قبلى

(١) انظر الأحاديث أول سورة الإسراء .

(٢) المسند (٥ / ١٣٩) وقال الهيثمى فى الزوائد (٨ / ٢٢٢): «رجاله ثقات وثقهم ابن حبان». وما بين المعقوفين من المسند.

أنبياء ، منهم من سخرت له الريح ، ومنهم من يحيى الموتى . قال : يا محمد ، ألم أجدك يتيما فآويتك ؟ قلت : بلى يا رب . قال : ألم أجدك ضالاً فهديتك ؟ قلت : بلى يا رب . قال : ألم أجدك عائلاً فأغنيتك ؟» قال: «قلت : بلى يا رب . قال: ألم أشرح لك صدرك ؟ ألم أرفع لك ذكرك ؟ قلت: بلى يا رب » (١) .

وقال آخرون : رفع الله ذكره فى الأولين والآخرين ،ونوه به ، حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به،وأن يأمروا أممهم بالإيمان به ،ثم شهر ذكره فى أمته فلا يُذكر الله إلا ذُكر معه .

وقوله : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ : أخبر تعالى أن مع العسر يوجَدُ اليسر ، ثم أكد هذا الخبر . وقوله : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ . وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ أى : إذا فَرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها ، فانصب فى العبادة ، وقم إليها نشيطا فارغ البال ، وأخلص لربك النية والرغبة . ومن هذا القبيل قوله ﷺ فى الحديث المتفق على صحته:«لا صلاة بحضرة طعام ،ولا وهو يدافعه الأخبثان »(٢). وقوله ﷺ : « إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء ، فابدؤوا بالعَشَاء » (٣) . قال مجاهد فى هذه الآية : إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلى الصلاة ، فانصب لربك ،وفى رواية عنه : إذا قمت إلى الصلاة فانصب فى حاجتك ،وعن ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل . وعن ابن عياض نحوه . وفى رواية عن ابن مسعود : ﴿ فَانصَبْ . وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس.وقال ابن عباس:﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ يعنى:فى الدعاء. وقال زيد بن أسلم ، والضحاك : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ ﴾ أى : من الجهاد ﴿فَانصَبْ﴾ أى: فى العبادة. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ قال الثورى: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله ، عز وجل .

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك (٢ /٥٢٦) وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .
(٢) مسلم (٥٦٠ / ٦٧) .
(٣) البخارى (٥٤٦٥) .

تفسير سورة التين

وهى مكية

عن البراء بن عازب : كان النبى ﷺ يقرأ فى سَفَر فى إحدى الركعتين بالتين والزيتون ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه . أخرجه الجماعة فى كتبهم (١) .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ ﴾

اختلف المفسرون هاهنا على أقوال كثيرة ،فقيل : المراد بالتين مسجد دمشق . وقيل : هى نفسها. وقيل : الجبل الذى عندها .وقال مجاهد : هو تينكم هذا . ﴿ والزيتون ﴾ قال قتادة ، وابن زيد ، وغيرهم : هو مسجد بيت المقدس . وقال مجاهد ، وعكرمة : هو هذا الزيتون الذى تعصرون. ﴿ وطور سينين ﴾ قال غير واحد : هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى . ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ يعنى : مكة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وإبراهيم النَّخَعى ،ولا خلاف فى ذلك .

وقال بعض الأئمة : هذه مَحَالُّ ثلاثة ، بعث الله فى كل واحد منها نبياً مرسلا من أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار ، فالأول : محلة التين والزيتون ، وهى بيت المقدس التى بعث الله فيها عيسى ابن مريم .والثانى : طور سينين ، وهو طور سيناء الذى كلم الله عليه موسى بن عمران . والثالث : مكة ، وهو البلد الأمين الذى من دخله كان آمنا ، وهو الذى أرسل فيه محمداً ﷺ . قالوا : وفى آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء ـ يعنى الذى كلم الله عليه موسى بن عمرن ـ وأشرق من سَاعِيرَ ـ يعنى جبل بيت المقدس الذى بعث الله منه عيسى ـ واستعلن من جبال فاران ـ يعنى: جبال مكة التى أرسل الله منها محمداً ـ فذكرهم على الترتيب الوجودى بحسب ترتيبهم فى الزمان ، ولهذا أقسم بالأشرف ، ثم الأشرف منه ،ثم بالأشرف منهما .

وقوله ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ : هذا هو المقسم عليه ، وهو أنه تعالى خلق الإنسان فى أحسن صورة ، وشكل منتصب القامة ، سَوِىّ الأعضاء حسنها . ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ أى : إلى النار . قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والحسن ، وابن زيد ، وغيرهم . ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل ؛ ولهذا قال : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ . وقال بعضهم : ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ أى : إلى أرذل العمر . رُوى هذا عن ابن عباس ، وعكرمة ـ حتى قال عكرمة : من جمع القرآن لم يُرَدّ إلى أرذل العمر . واختار ذلك ابن جرير . ولو كان هذا هو المراد لما حَسُن استثناء المؤمنين من ذلك ؛ لأن الهَرَم قد يصيبُ بعضهم ،وإنما المراد ما ذكرناه ،

(١) البخارى (٤٩٥٢) ومسلم (٤٦٤ / ١٧٥) وأبو داود (١٢٢١) والترمذى (٣١٠) والنسائى فى الكبرى (١١٦٨٢) وابن ماجه (٨٣٤ ، ٨٣٥) .

كقوله: ﴿وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

وقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أى: غير مقطوع، كما تقدم. ثم قال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ يعنى: يا ابن آدم ﴿بَعْدُ بِالدِّينِ﴾؟ أى: بالجزاء فى المعاد وقد علمت البدأة، وعرفت أن من قدر على البدأة، فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأى شىء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟ وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ أى: أما هو أحكم الحاكمين، الذى لا يجور ولا يظلم أحداً، ومن عَدْله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم فى الدنيا ممن ظلمه.

obeikandl.com

تفسير سورة اقرأ

وهى أول شىء نزل من القرآن .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾

روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يأتى حراء فيتحنث فيه ـ وهو : التعبد ـ الليالى ذواتَ العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى فَجَأه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ . قال رسول الله ﷺ : « فقلت: ما أنا بقارئ ». قال: «فأخذنى فَغَطَّنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال: اقرأ . فقلت :ما أنا بقارئ. فَغَطَّنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت: ما أنا بقارئ . فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال: ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ حتى بلغ :﴿ ما لم يعلم ﴾ » قال: فرجع بها تَرجُف بَوادره حتى دخل على خديجة فقال: « زملونى زملونى ». فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوْع. فقال :« يا خديجة ، ما لى؟» فأخبرها الخبر وقال : « قد خشيت على نفسى » . فقالت له: كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ؛ إنك لتصل الرحم ، وتصدُق الحديث، وتحمل الكَلَّ ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به وَرَقة بن نوفل بن أسَد بن عبد العُزى بن قُصى ـ وهو ابن عم خديجة ، أخى أبيها ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى ، وكتب بالعربية[1] من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِىَ ـ فقالت خديجة : أىّ ابن عم ، اسمع من ابن أخيك . فقال ورقة : ابنَ أخى ، ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، ليتنى فيها جَذعا أكونُ حيا حين يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ :« أومخرجىَّ هُم ؟ » . فقال ورقة: نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى،وإن يُدركنى يومك أنصرُكَ نصراً مُؤزراً .ثم لم ينشَب وَرَقة أن تُوُفِّى،وفتَر الوحى فترة حتى حَزِن رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنا ـ حزناً غدا منه مرارا كى يَتردى من رؤوس شَوَاهق الجبال،فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه ، تبدى له جبريل فقال : يا محمد، إنك رسولُ الله حقاً . فيسكن بذلك جأشه ، وتَقَرُّ نفسه فيرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تَبَدى له جبريل ، فقال له مثل ذلك . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين[2] .

فأول شىء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهُنَّ أول رحمة رَحم الله بها العباد،

---

(١) فى المطبوعة : « بالعبرانية » والمثبت من المسند والمخطوطة .

(٢) المسند (٦/ ٢٣٢) والبخارى (٣ ، ٤، ٤٩٥٣ ، ٤٩٥٥) ومسلم (١٦٠/ ٢٥٢) .

وأول نعمة أنعم الله بها عليهم . وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة ، وأن من كَرَمه تعالى أن علّم الإنسان ما لم يعلم ، فشرفه وكرمه بالعلم ، وهو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون فى الأذهان ، وتارة يكون فى اللسان ، وتارة يكون فى الكتابة بالبنان ، ذهنى ولفظى ورسمى ، والرسمى يستلزمهما من غير عكس ، فلهذا قال: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . وفى الأثر: قيدوا العلم بالكتابة .

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝ ﴾ سجدة

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان ، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله . ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال : ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ أى : إلى الله المصير والمرجع ، وسيحاسبك على مالك : من أين جمعته ؟ وفيم صرفته ؟ ثم قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ . عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾: نزلت فى أبى جهل ،لعنه الله ، توعد النبى ﷺ على الصلاة عند البيت ، فوعظه الله تعالى بالتى هى أحسن أولا ، فقال :﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ أى : فما ظنك إن كان هذا الذى تنهاه على الطريق المستقيمة فى فعله ، أو ﴿ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴾ بقوله ، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ؛ ولهذا قال :﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ أى : أما علم هذا الناهى لهذا المهتدى أن الله يراه ويسمع كلامه ، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء. ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً : ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ أى : لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ أى : لنَسمَّنها سوادا يوم القيامة .

ثم قال: ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ يعنى: ناصية أبى جهل كاذبة فى مقالها خاطئة فى فعالها. ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ أى : قومه وعشيرته ، أى : ليدعهم يستنصر بهم ، ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾: وهم ملائكة العذاب ، حتى يعلم من يغلبُ : أحزبُنا أو حزبه . روى البخارى عن ابن عباس : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عُنُقه . فبَلغَ النبى ﷺ ، فقال : « لئن فعله لأخذته الملائكة » . وكذا رواه الترمذى والنسائى وابن جرير [1] . وروى أحمد، والترمذى وابن جرير ـ وهذا لفظه ـ عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يصلى عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام فقال: يا محمد،ألم أنهك عن هذا ؟ ـ وتَوعَّده ـ فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره ، فقال:يا محمد ، بأى شىء تهددنى ؟ أما والله إنى لأكثر هذا الوادى نادياً ! فأنزل الله:﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ قال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته. وقال الترمذى : حسن صحيح[2] .

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن رأيت رسول الله يصلى عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه. قال:فقال:« لو فعل لأخذته الملائكة عياناً ،ولو أن اليهود تَمنَّوا الموت لماتوا

(١) البخارى (٤٩٥٨) والترمذى (٣٣٤٨) والنسائى فى الكبرى (١١٦٨٥) وابن جرير فى التفسير (٣٠ / ١٦٥) .
(٢) المسند (٣٠٤٥) والترمذى (٣٣٤٩) وابن جرير فى التفسير (٣٠/ ١٦٤). وقال الشيخ أحمد شاكر : «إسناده صحيح» .

ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يُباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا»[١]. وروى ابن جرير عن أبي هُرَيرة قال : قال أبو جهل : هل يَعفُر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم . قال : فقال : واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه في التراب ، فأتى رسول الله ﷺ وهو يُصَلى ليطأ على رقبته ، قال : فما فَجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه ، قال : فقيل له : ما لك ؟ فقال : إن بيني وبينه خَنْدقا من نار وهَولا وأجنحة. قال : فقال رسول الله : « لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » . قال : وأنزل الله ـ لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا ـ : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴾ إلى آخر السورة . وقد رواه أحمد بن حنبل ، ومسلم، والنسائي[٢] .

وقوله: ﴿ كَلاَّ لا تُطِعْهُ ﴾ يعني: يا محمد ، لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصلِّ حيث شئت ولا تباله ؛ فإن الله حافظك وناصرك ، وهو يعصمك من الناس ، ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾، كما ثبت في الصحيح ـ عند مسلم ـ عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال: « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء »[٣]. وتقدم أيضاً : أن رسول الله ﷺ كان يسجد في: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ و﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾[٤].

---

(١) المسند (٢٢٢٥) وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » .

(٢) ابن جرير في التفسير (٣٠/ ١٦٥) والمسند (٢/ ٣٧٠) ومسلم ٢٧٩٧ / ٣٨) والنسائي في الكبرى (١١٦٨٣) .

(٣) مسلم (٤٨٢ / ٢١٤) .

(٤) مضى تخريج ذلك في أول سورة الانشقاق .

تفسير سورة القدر

وهى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝ ﴾

يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر ، وهى الليلة المباركة التى قال الله ، عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان:٣] وهى ليلة القدر ، وهى من شهر رمضان ، كما قال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة:١٨٥] . قال ابن عباس وغيره :أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ .

ثم قال تعالى مُعَظِّما لشأن ليلة القدر ،التى اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها ، فقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ . وقال مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر ، ليس فى تلك الشهور ليلة القدر. وهكذا قال قتادة بن دعامة ، والشافعى ، وغير واحد .وقال عمرو بن قيس الملائى: عمل فيها خير من عمل ألف شهر . وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ـ وليس فيها ليلة القدر ـ هو اختيارُ ابن جرير . وهو الصواب لا ما عداه ، وهو كقوله ﷺ : « رِباطُ ليلة فى سبيل الله خَيْر من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » . رواه أحمد [١] . وكما جاء فى قاصد الجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة : « أنه يُكتَبُ له عمل سنة ، أجر صيامها وقيامها » إلى غير ذلك من المعانى المشابهة لذلك . ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ، ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :« من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّم من ذنبه » [٢] .

وقوله :﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أى: يكثر تَنَزُّلُ الملائكة فى هذه الليلة لكثرة بركتها ،والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة ، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلَق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له .وأما الروح فقيل : المراد به هاهنا جبريل، عليه السلام ، فيكون من باب عطف الخاص على العام. وقيل: هم ضرب من الملائكة. كما تقدم فى سورة « النبأ ». والله أعلم .وقوله: ﴿ من كُلِّ أَمْرٍ ﴾ قال مجاهد: سلام هى من كل أمر. وقال: هى سالمة ، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى . وقال قتادة وغيره : تقضى فيها الأمور ، وتقدر الآجال والأرزاق ، كما قال تعالى :﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان:٤] .

وقوله تعالى:﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾عن الشعبى قال: تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل

---

(١) المسند (٤٧٠) ،وقال الشيخ أحمد شاكر :« إسناده صحيح » .
(٢) البخارى (١٩٠١) ومسلم (٧٦٠ / ١٧٥) .

المساجد ، حتى يطلع الفجر . وقال قتادة وابن زيد فى قوله : ﴿ سَلَامٌ هِيَ ﴾ يعنى : هى خير كلها ، ليس فيها شر إلى مطلع الفجر .

فصل : اختلف العلماء : هل كانت ليلة القدر فى الأمم السالفة ، أو هى من خصائص هذه الأمة؟ على قولين :

قال الزهرى : حدثنا مالك : أنه بلغه : أن رسول الله ﷺ أُرى أعمار الناس قبله ـ أو : ما شاء الله من ذلك ـ فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر(١). وهذا الذى قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الأمة بليلة القدر ، وقد نقله صاحب « العُدّة » أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء ، فالله أعلم . وحكى الخطابى عليه الإجماع ، والذى دل عليه الحديث أنها كانت فى الأمم الماضين كما هى فى أمتنا .

روى الإمام أحمد بن حنبل عن مَرْثَد قال : سألت أبا ذر قلت : كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ قال : أنا كنت أسأل الناس عنها ، قلت : يا رسول الله ، أخبرنى عن ليلة القدر ، أفى رمضان هى أو فى غيره ؟ قال : « بل هى فى رمضان » . قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا ، فإذا قبضوا رفعت ؟ أم هى إلى يوم القيامة ؟ قال : « بل هى إلى يوم القيامة » . قلت : فى أى رمضان هى؟ قال: « التمسوها فى العشر الأول ، والعشر الأواخر » . ثم حَدّثَ رسولُ الله ﷺ وحَدّث ، ثم اعتبلت غفلته، قلت : فى أى العشرين هى ؟ قال : « ابتغوها فى العشر الأواخر ، لا تسألنى عن شىء بعدها » . ثم حدّث رسول الله ﷺ ، ثم اعتبلت غفلته، فقلت : يارسول الله ، أقسمت عليك بحقى عليك لَمَا أخبرتنى فى أى العشر هى ؟ فغضب على غضباً لم يغضب مثله منذ صحبته ، وقال : «التمسوها فى السبع الأواخر ، لا تسألنى عن شىء بعدها » . ورواه النسائى(٢).

ففيه دلالة على ما ذكرناه ،وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة فى كل سنة بعد النبى ﷺ ، لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية ، على ما فهموه من الحديث الذى سنورده بعدُ من قوله ، عليه السلام : « فرفعت ، وعسى ان يكون خيراً لكم » ؛ لان المراد رفعُ عِلْم وقتها عيناً . وفيه دلالة على أنها ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور ، لا كما رُوى عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة ، من أنها توجد فى جميع السنة ، وترجى فى جميع الشهور على السواء .

فصل : ثم قد قيل : ليلة إحدى وعشرين ؛ لحديث أبى سعيد الخدرى قال : اعتكف رسولُ الله ﷺ العشر الأوَل من رمضان واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : إن الذى تطلب أمامك . فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال :إن الذى تطلب أمامك . ثم قام النبى ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان ، فقال : « من كان اعتكف معى فليرجع ، فإنى رأيت ليلة القدر ، وإنى أنسيتها ، وإنها فى العشر الأواخر فى وِتْر ، وإنى رأيت كأنى أسجد فى طين وماء ». وكان سقف المسجد جريداً من النخل ، وما نَرى فى السماء شيئاً ، فجاءت قَزَعَة فَمُطرنا ، فصلى بنا النبى ﷺ حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه . وفى لفظ : « فى صبح إحدى

(١) مالك فى الموطأ (١/ ٣٢١) (١٥) .
(٢) المسند (٥/ ١٧١) والنسائى (٣٤٢٧).

وعشرين » أخرجاه فى الصحيحين[١] . قال الشافعى : وهذا الحديث أصح الروايات .

وقيل : ليلة ثلاث وعشرين ؛ لحديث عبد الله بن أنيس فى « صحيح مسلم »[٢] وهو قريب السياق من رواية أبى سعيد ، فالله أعلم .

وقيل : تكون ليلة خمس وعشرين ؛ لما رواه البخارى ، عن عبد الله بن عباس : أن رسول الله ﷺ قال : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ، فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى ، فى خامسة تبقى »[٣]. فَسَّره كثيرون بليالى الأوتار ، وهو أظهر وأشهر . وحمله آخرون على الإشفاع كما رواه مسلم عن أبى سعيد ، أنه حمله على ذلك . والله أعلم .

وقيل : إنها تكون ليلة سبع وعشرين ؛ لما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى بن كعب ، عن رسول الله ﷺ : « إنها ليلة سبع وعشرين »[٤] . روى الإمام أحمد عن زِرّ : سألت أبىّ بن كعب قلت: أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول : من يُقِم الحَولَ يُصبْ ليلة القدر . قال : يرحمه الله ، لقد علم أنها فى شهر رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين . ثم حلف . قلت : وكيف تعلمون ذلك ؟ قال: بالعلامة ـ أو : بالآية ـ التى أخبرنا بها، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها ، أعنى الشمس .وقد رواه مسلم، عن أبى ، فذكره ، وفيه : فقال: والله الذى لا إله إلا هو ، إنها لفى رمضان ـ يحلف بما يستثنى ـ والله إنى لأعلم أى ليلة القدر هي التى أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هى ليلة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها[٥] . وفى الباب عن معاوية ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم ، عن رسول الله ﷺ : أنها ليلة سبع وعشرين . وهو قول طائفة من السلف ، وهو الجَادّة من مذهب أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، وهو رواية عن أبى حنيفة أيضاً . وقد حُكِىَ عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن ، من قوله : ﴿ هِىَ ﴾ لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة ، والله أعلم .

وقيل : إنها تكون فى ليلة تسع وعشرين . روى أحمد بن حنبل عن أبى هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر:«إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى »[٦] . تفرد به أحمد ، وإسناده لا بأس به .

فصل: قال الشافعى فى هذه الروايات: صدرت من النبى ﷺ جواباً للسائل إذ قيل له : التمس ليلة القدر فى الليلة الفلانية ؟ يقول : « نعم » . وإنما ليلة القدر ليلة مُعَيَّنة لا تنتقل . نقله الترمذى عنه بمعناه . وروى عن أبى قِلابَة أنه قال : ليلة القدر تنتقل فى العشر الأواخر[٧] .

وهذا الذى حكاه عن أبى قلابة نص عليه مالك ، والثورى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور ، والمزنى ، وأبو بكر بن خُزَيمة ، وغيرهم . وهو محكى عن الشافعى ـ نقله القاضى عنه، وهو الأشبه ـ والله أعلم. وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت فى الصحيحين، عن عبد الله ابن عُمر : أن رجالاً من أصحاب النبى ﷺ أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر من رمضان ،

(١) البخارى (٢٠١٨) ومسلم (١١٦٧/٢١٣) .
(٢) مسلم (١١٦٨/٢١٨) .
(٣) البخارى (٢٠٢١) .
(٤) مسلم (٧٦٢/١٧٩) .
(٥) المسند (٥/ ١٣٠) ومسلم السابق .
(٦) المسند (٢/ ٥١٩) .
(٧) الترمذى (٣/ ١٥٩) .

فقال رسول الله ﷺ : « أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان مُتحريها فَلْيَتَحرها فى السبع الأواخر » (١) . وفيهما أيضاً عن عائشة ، رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « تَحَرَّوْا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » (٢) . ولفظه للبخارى .

ويحتج للشافعى أنها لا تنتقل ، وأنها معينة من الشهر ، بما رواه البخارى فى صحيحه ، عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر ، فَتَلاحى رجلان من المسلمين ، فقال : « خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحى فلان وفلان ، فَرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة »(٣) .

وجه الدلالة منه : أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين ، لما حصل لهم العلم بعينها فى كل سنة،إذ لو كانت تنتقل لما علموا تَعيينها إلا ذلك العام فقط ، اللهم إلا أن يقال : إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط .

وقوله : « فتلاحى فلان وفلان فرفعت » : فيه استئناس لما يقال : إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع .

وقوله : « فرفعت » أى : رفع علم تعيينها لكم ، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود ، كما يقوله جهلة الشيعة ؛ لأنه قد قال بعد هذا : « فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » .

وقوله :« وعسى أن يكون خيراً لكم » يعنى : عدم تعيينها لكم ، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طُلابها فى ابتغائها فى جميع محال رجائها ، فكان أكثر للعبادة ، بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط. وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر فى ابتغائها ، ويكون الاجتهاد فى العشر الأواخر أكثر. ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان،حتى توفاه الله ، عز وجل . ثم اعتكف أزواجهُ من بعده. أخرجاه من حديث عائشة (٤). ولهما عن ابن عمر : كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان(٥) .

وقالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر . أخرجاه (٦) . ولمسلم عنها : كان رسول الله ﷺ يجتهد فى العشر ما لا يجتهد فى غيره (٧) .

وهذا معنى قولها : « وشد المئزر » . وقيل : المراد بذلك : اعتزال النساء . ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين ، لما رواه الإمام أحمد عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا بقى عشر من رمضان شَدَّ مئزره ، واعتزل نساءه . انفرد به أحمد (٨) .

والمستحب الإكثار من الدعاء فى جميع الأوقات ، وفى شهر رمضان أكثر ، وفى العشر الأخير منه، ثم فى أوتاره أكثر . والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء : « اللهم ، إنك عَفُوٌّ تحب العفو ، فاعف عنى»؛ لما رواه الإمام أحمد عن عائشة قالت : يا رسول الله ، إن وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟

(١) البخارى (٢٠١٥)ومسلم (١١٦٥/ ٢٠٥) .
(٢) البخارى (٢٠١٧) ومسلم (١١٦٩/٢١٩).
(٣) البخارى (٢٠٢٣) .
(٤) البخارى (٢٠٢٦) ومسلم (١١٧٢/ ٣) .
(٥) البخارى (٢٠٢٥) ومسلم (١١٧١/١) .
(٦) البخارى (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤ /٧) .
(٧) مسلم (١١٧٥/٨) .
(٨) المسند (٦٦/٦) .

قال : « قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو ، فاعف عنى » .

وقد رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وقال الترمذى « هذا حديث حسن صحيح» . وأخرجه الحاكم فى مستدركه ، وقال : « هذا صحيح على شرط الشيخين »[1] .

obeikandl.com

(١) المسند (٦/ ١٨٢) والترمذى (٣٥١٣) والنسائى فى الكبرى (١١٦٨٨) وابن ماجه (٣٨٥٠) والحاكم (١/ ٥٣٠) ، وصححه الألبانى .

تفسير سورة لم يكن
وهى مدنية

روى الإمام أحمد عن أبى حيَّة البدرى ـ وهو : مالك بن عمرو بن ثابت الأنصارى ـ قال : لما نزلت : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ إلى آخرها ، قال جبريل : يا رسول الله ، إن ربك يأمرك أن تقرئها أُبيّاً . فقال النبى ﷺ لأبى : « إن جبريل أمرنى أن أقرئك هذه السورة » . قال أبى : وقد ذكرت ثم يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . قال : فبكى أبى [١] . وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لأبى بن كعب : « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ » قال : وسمانى لك ؟ قال : « نعم » . فبكى . ورواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى [٢] . وروى أحمد عن أبى بن كعب قال : إن رسول الله ﷺ قال لى : « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن » . قال : فقرأ : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ ، قال : فقرأ فيها : ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال ، فأعطيه ، لسأل ثانياً ، ولو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب . وإن ذلك الدين عند الله الحنيفية ، غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ، ومن يفعل خيراً فلن يكفره . ورواه الترمذى وقال : حسن صحيح [٣] .

وإنما قرأ عليه النبى ﷺ هذه السورة تثبيتاً له ، وزيادة لإيمانه ، فإنه ـ كما رواه ، أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى [٤] ـ كان قد أنكر على عبد الله بن مسعود قراءة شىء من القرآن على خلاف ما أقراه رسول الله ﷺ ، فرفعه إلى النبى ﷺ فاستقرأهما ، وقال لكل منهما : « أصبت » . قال أبى : فأخذنى من الشك ولا إذ كنت فى الجاهلية . فضرب رسول الله ﷺ فى صدره ، قال أبى : ففضتُ عَرَقاً ، وكأنما أنظر إلى الله فرقاً . وأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف . فقلت : « أسأل الله معافاته ومغفرته » . فقال : على حرفين . فلم يزل حتى قال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف . كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه وألفاظه فى أول التفسير . فلما نزلت هذه السورة الكريمة وفيها : ﴿ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً . فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ ، قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار ، لا قراءة تعلم واستذكار ، والله أعلم . وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله ﷺ يوم الحديبية عن تلك الأسئلة ، وكان فيما قال : أو لم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟» . قال : لا ، قال : « فإنك آتيه ، ومُطوِّف به » . فلما رجعوا من الحديبية ، وأنزل الله على النبى ﷺ سورة « الفتح » ، دعا عمر بن الخطاب وقرأها عليه ، وفيها قوله : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ الآية [الفتح:٢٧] ، كما تقدم [٥] .

---

(١) المسند (٣/ ٤٨٩) .
(٢) المسند (٣/ ١٣٠) والبخارى (٤٩٥٩) ومسلم (٧٩٩/ ٢٤٥) والترمذى (٣٧٩٢) والنسائى فى الكبرى (١١٦٩١) .
(٣) المسند (٥/ ١٣١) والترمذى (٣٧٩٣) .
(٤) المسند (٥/ ١٢٧) ومسلم (٨٢٠ / ٢٧٣) وأبو داود (١٤٧٨) والنسائى (٤٩٠) .
(٥) مضى تخريجه عند تفسير هذه الآية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾

أما أهل الكتاب فهم: اليهود والنصارى ، والمشركون : عَبَدةُ الأوثان والنيران ، من العرب ومن العجم. وقال مجاهد :لم يكونوا ﴿ مُنفكِّين ﴾ يعنى: منتهين حتى يتبين لهم الحق . وكذا قال قتادة. ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ أى: هذا القرآن ؛ولهذا قال تعالى:﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ . ثم فسر البينة بقوله :﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ يعنى: محمداً ﷺ ، وما يتلوه من القرآن العظيم ، الذى هو مكتب فى الملأ الأعلى ، فى صحف مطهرة كقوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ . مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس:١٣ـ ١٦] .

وقوله: ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ قال ابن جرير: أى فى الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ ؛ لأنها من عند الله ، عز وجل . قال قتادة : ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾: يذكر القرآن بأحسن الذكر ،ويثنى عليه بأحسن الثناء.وقال ابن زيد : ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ : مستقيمة معتدلة . وقوله: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ كقوله:﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٥] يعنى بذلك : أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا فى الذى أراده الله من كتبهم، واختلفوا اختلافاً كثيرا .

وقوله : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ كقوله :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الانبياء:٢٥] ؛ ولهذا قال : حنفاء ، أى : مُتحنفين عن الشرك إلى التوحيد . كقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] ، وقد تقدم تقرير الحنيف فى سورة « الأنعام» (١) بما أغنى عن إعادته هاهنا . ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ وهى أشرف عبادات البدن ، ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وهى الإحسان إلى الفقراء والمحاويج ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ أى : الملة القائمة العادلة، أو : الأمة المستقيمة المعتدلة . وقد استدل كثير من الأئمة ، كالزهرى والشافعى ، بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة فى الإيمان ؛ ولهذا قال : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ

(١) عند الآية (١٦١) .

﴿ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

يخبر تعالى عن مآل الفجار ، من كفرة أهل الكتاب ، والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة : أنهم يوم القيامة ﴿ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أى : ماكثين ، لا يحولون عنها ولا يزولون ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ أى : شر الخليقة التى برأها الله وذرأها . ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار ـ الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بأبدانهم ـ بأنهم خير البرية . وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء ، على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة ؛ لقوله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ .

قال تعالى : ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أى : يوم القيامة ، ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ أى : بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم ، ﴿ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم . وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ أى : هذا الجزاء حاصل لمن خشى الله واتقاه حق تقواه ، وعبده كأنه يراه ، فقد علم أنه إن لم يره فإنه يراه .

obeikandl.com

تفسير سورة إذا زلزلت

وهى مكية

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أقرئنى يا رسول الله . قال له : « اقرأ ثلاثا من ذات الر ». فقال له الرجل : كبر سنى واشتد قلبى ، وغلُظ لسانى . قال: « فاقرأ من ذات حم » ،فقال مثل مقالته الأولى . فقال : « اقرأ ثلاثا من المسبحات »، فقال مثل مقالته . فقال الرجل : ولكن أقرئنى ـ يا رسول الله ـ سورة جامعة . فاقرأه : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ حتى إذا فرغ منها قال الرجلُ : والذى بعثك بالحق ، لا أزيد عليها أبداً . ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ : « أفلح الرويجل ! أفلح الرويجل ! » ثم قال : «علَىّ به » . فجاءه فقال له : « أمرتُ بيوم الأضحى جعله الله عيدا لهذه الأمة » . فقال له الرجل : أرأيت إن لم أجد إلا مَنيحَة أنثى فأضحى بها ؟ قال: « لا، ولكنك تأخذ من شعرك ،وتقلم أظفارك ، وتقص شاربك، وتحلق عانتك ، فذاك تمام أضحيتك عند الله ، عز وجل » .وأخرجه أبو داود والنسائى (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝ ﴾

قال ابن عباس : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ أى: تحركت من أسفلها . ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ يعنى : ألقت ما فيها من الموتى. قاله غير واحد من السلف. وهذه كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج:١] ، وكقوله: ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق:٣،٤] . وروى مسلم عن أبى هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ : « تَقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: فى هذا قَتَلْتُ ، ويجيء القاطع فيقول : فى هذا قَطَعتُ رحمى، ويجيء السارق فيقول : فى هذا قُطعت يدى ، ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئاً » (٢).

وقوله : ﴿ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴾ أى : استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة ، وهو مستقر على ظهرها ، أى : تقلبت الحال ، فصارت متحركة مضطربة ، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها من الزلزال الذى لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما فى بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار. وقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ أى: تحدث بما عمل العاملون على ظهرها. روى الإمام أحمد والترمذى عن أبى هريرة

(١) المسند (٦٥٧٥) وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » وأبو داود (١٣٩٩) والنسائى (٤٣٦٥) .
(٢) مسلم (١٠١٣/ ٦٢) .

قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: « أتدرون ما أخبارها ؟ ». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عَمِل على ظهرها ، أن تقول: عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها » . ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب[١] .

وقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: قال البخارى: أوحى لها وأوحى إليها ، ووحى لها ووحى إليها : واحد[٢] . وكذا قال ابن عباس: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أى: أوحى إليها . والظاهر أن هذا مُضَمَّن بمعنى أذن لها. وقال ابن عباس : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال : قال لها ربها : قولى ، فقالت . وقال مجاهد : ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أى : أمرها . وقال القُرَظى : أمرها أن تنشق عنهم .

وقوله : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أى : يرجعون عن موقف الحساب ، ﴿أَشْتَاتًا﴾ أى : أنواعاً وأصنافاً ، ما بين شقى وسعيد ، مأمور به إلى الجنة ، ومأمور به إلى النار . قال ابن جريج : يتصدعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما عليهم . وقال السُّدِّى : ﴿أَشْتَاتًا﴾ : فرقا. وقوله تعالى: ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أى : ليعملوا ويجازوا بما عملوه فى الدنيا ، من خير وشر . ولهذا قال : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ .

روى البخارى عن أبى هُرَيرة : أن رسول الله ﷺ قال : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر ؛فأما الذى له أجر ، فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال طِيَلها فى مرج أو روضة، فما أصابت فى طيلها ذلك فى المرج والروضة كان له حسنا ،ولو أنها قطعت طيلها فاستنّت شَرَفًا أو شرفين، كانت آثارها وأرواثها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يَسقى به كان ذلك حسنات له، وهى لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تَغَنيا وتعففا ،ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها ،فهى له ستر. ورجل ربطها فخراً ورئاء ونواء ، فهى على ذلك وزر » . فسئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر ، فقال: « ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. ورواه مسلم[٣] . وفى صحيح البخارى ، عن عَدى مرفوعا : « اتقوا النار ولو بِشِقِّ تمرة ،ولو بكلمة طيبة»[٤] . وفى الصحيح :« لا تَحقِرَنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط »[٥]. وفى الصحيح أيضاً : « يا نساء المؤمنات ، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة »[٦] يعنى : ظلفها .

---

(١) المسند (٢/ ٣٧٤) والترمذى (٣٣٥٣) والنسائى فى الكبرى (١١٦٩٣) .
(٢) البخارى (٨ / ٧٢٦ فتح) .
(٣) البخارى (٤٩٦٢) ومسلم (٢٤/٩٨٧) .
(٤) البخارى (٧٥١٢) .
(٥) مسلم (٢٦٢٦/١٤٤) .
(٦) البخارى (٢٥٦٦) .

تفسير سورة العاديات

وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝ فَالْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝ ربع أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝ ﴾

يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت فى سبيله فَعَدت وضَبَحت ، وهو : الصوت الذى يسمع من الفرس حين تعدو . ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ يعنى : اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار . ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ يعنى : الإغارة وقت الصباح ، كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحاً ويستمع الأذان ، فإن سمع أذانا وإلا أغار .

وقوله ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ يعنى : غباراً فى مكان معترك الخيول . ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ أى : توسطن ذلك المكان كُلُّهن جُمع . عن عبد الله [بن مسعود]: ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ قال : الإبل . وقال على : هى الإبل . وقال ابن عباس : هى الخيل . فبلغ عليا قولُ ابن عباس ، فقال : ما كانت لنا خيل يوم بدر . قال ابن عباس : إنما كان ذلك فى سرية بعثت .

روى ابن أبى حاتم وابن جرير : عن ابن عباس ، قال : بينا أنا فى الحجْر جالساً ، جاءنى رجل فسألنى عن : ﴿ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقلت له : الخيل حين تغير فى سبيل الله ، ثم تأوى إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم . فانفتل عنى فذهب إلى على ، وهو عند سقاية زمزم فسأله عن ﴿ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقال : سألت عنها أحداً قبلى ؟ قال : نعم ، سألت ابن عباس فقال : الخيل حين تغير فى سبيل الله . قال: اذهب فادعه لى . فلما وقف على رأسه قال : تفتى الناس بما لا علم لك، والله لئن كان أولَ غزوة فى الإسلام بدر ، وما كان معنا إلا فَرَسان: فرس للزبير وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحاً ؟ إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى المزدلفة ، ومن المزدلفة إلى منى . قال ابن عباس : فنزعت عن قولى ورجعت إلى الذى قال على ، رضى الله عنه . وقد قال بقول على : إنها الإبل جماعة . منهم : إبراهيم وعبيد بن عمير، وبقول ابن عباس آخرون ، منهم : مجاهد وعكرمة، وعطاء وقتادة، والضحاك. واختاره ابن جرير. وقال أكثر هؤلاء فى قوله: ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ يعنى : بحوافرها . وقيل : أسعَرْنَ الحرب بين رُكبانهن . قاله قتادة . وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ يعنى : مكر الرجال . وقيل : هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل . وقيل: المراد بذلك : نيران القبائل . وقال ابن جرير : والصواب الأول ؛ أنها الخيل حين تقدح بحوافرها .

وقوله: ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعنى إغارة الخيل صبحاً فى

سبيل الله .وقال من فسرها بالإبل : هو الدفع صبحا من المزدلفة إلى منى .وقالوا كلهم فى قوله : ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ هو : المكان الذى إذا حلت فيه أثارت به الغبار ، إما فى حج أو غزو . وقوله : ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ قال ابن عباس ، وعطاء ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك : يعنى جَمع الكفار من العدو .ويحتمل أن يكون : فوسطن بذلك المكان جَميعُهُن ، ويكون ﴿جَمْعًا﴾ منصوباً على الحال المؤكدة . وقوله :﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ :هذا هو المقسم عليه ، بمعنى : أنه بنعم ربه لجحود كفور . قال ابن عباس ، ومجاهد ،وإبراهيم النَّخعِي ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، الكنود : الكفور. قال الحسن : هو الذى يعد المصائب ، وينسى نعم ربه . وقوله :﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قال قتادة وسفيان الثورى :وإن الله على ذلك لشهيد .ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان، قاله محمد ابن كعب القرظى ، فيكون تقديره :وإن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد ،أى : بلسان حاله ،أى : ظاهر ذلك عليه فى أقواله وأفعاله ،كما قال تعالى:﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٧] .

وقوله:﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أى:وإنه لحب الخير ـ وهو:المال ـ لشديد. وفيه مذهبان :

أحدهما : أن المعنى : وإنه لشديد المحبة للمال .والثانى : وإنه لحريص بخيل ؛ من محبة المال . وكلاهما صحيح . ثم قال تعالى مُزَهِّدًا فى الدنيا ، ومُرَغِّبًا فى الآخرة ، ومنبهاً على ما هو كائن بعد هذه الحال ، وما يستقبله الإنسان من الأهوال:﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أى :أخرج ما فيها من الأموات ، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ قال ابن عباس وغيره : يعنى أبرز وأظهر ما كانوا يسرون فى نفوسهم، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أى : العالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ، ومجازيهم عليه أوفر الجزاء ، ولا يظلم مثقال ذرة .

تفسير سورة القارعة

وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ ۝ ﴾

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ : من أسماء القيامة ، كالحاقة ، والطامة ، والصاخة ،والغاشية ، وغير ذلك .

ثم قال تعالى معظماً أمرها ومهولا لشأنها: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ أى : فى انتشارهم وتفرقهم ، وذهابهم ومجيئهم ، من حيرتهم مما هم فيه ، كأنهم فراش مبثوث ، كما قال فى الآية الأخرى: ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر:٧]. وقوله: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ يعنى: قد صارت كأنها الصوف المنفوش ،الذى قد شَرَع فى الذهاب والتمزق . قال مجاهد ، وعكرمة ،وسعيد بن جبير ،والحسن ،وقتادة : ﴿ الْعِهْنِ ﴾: الصوف .

ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين ، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة ، بحسب أعمالهم ، فقال: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى: رجحت حسناته على سيئاته ، ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ يعنى : فى الجنة . ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى : رجحت سيئاته على حسناته . وقوله : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ قيل : معناه : فهو ساقط هاو بأم رأسه فى نار جهنم . وَعَبَّر عنه بأمه ــ يعنى دماغُه ـ رُوى نحو هذا عن ابن عباس ،وعكرمة ، وقتادة ، قال قتادة : يهوى فى النار على رأسه. وقيل : معناه : ﴿ فَأُمُّهُ ﴾ التى يرجع إليها ، ويصير فى المعاد إليها ﴿ هَاوِيَةٌ ﴾ ، وهى اسم من أسماء النار . قال ابن جرير : وإنما قيل : للهاوية أمه ؛ لأنه لا مأوى له غيرها . وقال ابن زيد : الهاوية : النار ، هى أمه ومأواه التى يرجع إليها ويأوى إليها ، وقرأ : ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [آل عمران:١٥١] . وعن قتادة أنه قال : هى النار ، وهى مأواهم . ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ أى : حارة شديدة الحر ، قوية اللهيب والسعير . عن أبى هريرة : أن النبى ﷺ قال: «نار بنى آدم التى تُوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». قالوا : يا رسول الله، إن كانت لكافية . فقال : « إنها فُضِّلَت عليها بتسعة وستين جُزءاً » .رواه البخارى وفى بعض ألفاظه: « إنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلهن مثل حرّها »[1] .

وروى الإمام أحمد :عن أبى هريرة قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : « نار بنى آدم التى توقدون ،جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ». فقال رجل : إن كانت لكافية . فقال : « لقد فضلت

(١) البخارى (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣/ ٣٠) .

عليها بتسعة وستين جزءاً حَراً فحرا » . تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم(١) . وروى الإمام أحمد عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ : « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد» . وهذا على شرط الصحيحين، ولم يخرجوه من هذا الوجه، وقد رواه مسلم(٢) . وقد روى الإمام أحمد: عن أبى هُريرة، عن النبى ﷺ قال : « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم »(٣) . تفرد به أيضاً من هذا الوجه، وهو على شرط مسلم أيضا. وروى أبو القاسم الطبرانى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهى أشد سواداً من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً »(٤) . وثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب ، أكل بعضى بعضاً ، فأذن لها بنَفَسين : نفس فى الشتاء ، ونفس فى الصيف . فأشد ما تجدون فى الشتاء من بردها ، وأشد ما تجدون فى الصيف من حرها »(٥) . وفى الصحيحين : « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة ، فإن شدة الحر من فَيح جَهَنم »(٦) .

---

(١) المسند (٢/ ٤٦٧) .
(٢) المسند (٢/ ٢٤٤) ومسلم (٢٨٤٣/ ٣٠) .
(٣) المسند (٢/ ٣٧٩) .
(٤) الطبرانى فى الأوسط (٤٨٤٣) وقال الهيثمى فى الزوائد (١٠ / ٣٩٠) : « رجاله رجال الصحيح » .
(٥) البخارى (٣٢٦٠) .
(٦) البخارى (٥٣٣) ومسلم (٦١٥ / ١٨٠) .

obeikandl.com

تفسير سورة التكاثر

وهى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾

يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها ،وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر ، وصرتم من أهلها ؟! وقال الحسن البصرى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ فى الاموال والاولاد .وفى صحيح البخارى عن أبى بن كعب قال : كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ يعنى: « لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب»(١) .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن أبيه قال : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول : « ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ ، يقول ابن آدم : مالى مالى . وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت ؟ » . ورواه مسلم والترمذى (٢).

وروى مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :« يقول العبد : مالى مالى ! وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو تصدق فاقتنى (٣)، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس » .تفرد به مسلم (٤) . وروى البخارى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يتبع الميت ثلاثةٌ ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله» . وكذا رواه مسلم والترمذى (٥). وروى الإمام أحمد عن أنس : أن النبى ﷺ قال : «يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنتان : الحرص والامل » . أخرجاه فى الصحيحين(٦) . والمراد بقوله : ﴿ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ أى : صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء فى الصحيح : أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعوده ، فقال : « لا بأس ، طهور إن شاء الله » . فقال : قلت : طَهُور ؟! بل هى حمى تفور ، على شيخ كبير ، تُزيره القبور ! قال : «فَنَعَم إذاً » (٧).

وقوله : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ قال الحسن البصرى : هذا وعيد بعد وعيد . وقال الضحاك: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعنى: الكفار ، ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعنى: أيها المؤمنون .

---

(١)البخارى (٦٤٣٧) .
(٢)المسند (٤/ ٢٤) ومسلم (٣/٢٩٥٨) والترمذى (٣٣٥٤)
(٣)فى المطبوعة :« فأمضى» والمثبت من المخطوطة ومسلم .
(٤)مسلم (٢٩٥٩ / ٤).
(٥)البخارى (٦٥١٤) ومسلم (٥/٢٩٦٠) والترمذى (٢٣٧٩) .
(٦)المسند (٣/ ١١٥) والبخارى (٦٤٢١) ومسلم (١١٦/١٠٤٧).
(٧)البخارى (٥٦٦٢ ، ٥٦٥٦ ، ٧٤٧٠) .

وقوله : ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ أى: لو علمتم حق العلم ، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة ، حتى صرتم إلى المقابر . ثم قال: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هذا تفسير الوعيد المتقدم ، وهو قوله: ﴿ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ تَوعَّدَهم بهذا الحال ،وهى رؤية النار(١) ، التى إذا زفرت زفرة خَرّ كل ملك مقرب ، ونبى مرسل على ركبتيه ، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال . وقوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ أى : ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم ، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته .

وروى ابن جرير عن أبى هريرة قال : بينما أبو بكر وعمر جالسان ، إذ جاءهما النبى ﷺ فقال: « ما أجلسكما هاهنا ؟ » قالا : والذى بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع . قال : «والذى بعثنى بالحق ما أخرجنى غيره » . فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار ،فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النبى ﷺ : « أين فلان ؟ » فقالت : ذهب يستعذب لنا ماء . فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال: مرحبا ، ما زار العباد أفضل من شىء زارنى اليوم . فعلق قربته بكرب نخلة ،وانطلق فجاءهم بعذق، فقال النبى ﷺ : « ألا كنت اجتنيت » ؟ فقال : أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم . ثم أخذ الشفرة، فقال النبى ﷺ : « إياك والحلوب ؟ » فذبح لهم يومئذ ، فأكلوا . فقال النبى ﷺ : «لتسألن عن هذا يوم القيامة . أخرجكم من بيوتكم الجوع، فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا ، فهذا من النعيم » ورواه مسلم وأهل السنن(٢) . وروى أحمد عن معاذ بن عبد الله بن حُبَيب ، عن أبيه ، عن عمه قال : كنا فى مجلس فطلع علينا النبى ﷺ وعلى رأسه أثر ماء ،فقلنا : يا رسول الله ، نراك طيب النفس . قال : « أجل » . قال : ثم خاض الناس فى ذكر الغنى ،فقال رسول الله ﷺ : « لا بأس بالغنى لمن اتقى الله ، والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى ، وطيب النفس من النعيم » .ورواه ابن ماجة(٣). وروى الترمذى عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : « إن أول ما يسأل عنه ـ يعنى يوم القيامة ـ العبد من النعيم أن يقال له : ألم نُصِحّ لك جسمك ، ونُرْوِكَ من الماء البارد ؟ ». ورواه ابن حبان فى صحيحه (٤) . وعن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير : لما نزلت : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ، قالوا: يا رسول الله ، لأى نعيم نسأل عنه ، وإنما هما الأسودان التمر والماء ؟ قال: « إن ذلك سيكون» . رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد ، وقال الترمذى : حسن(٥) . وقال سعيد بن جبير: حتى عن شربة عسل . وقال مجاهد : عن كل لذة من لذات الدنيا . وقال الحسن البصرى : نعيم الغداء والعشاء ، وقال أبو قِلابة : من النعيم أكل العسل والسمن بالخبز النقى . وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال .

وقال ابن عباس : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار ، يسأل الله العباد فيما استعملوها ، وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء:٣٦] . وثبت فى صحيح البخارى ، وسنن الترمذى وابن ماجه عن ابن

(١) فى المطبوعة :« رؤية أهل النار » .ولا معنى لزيادة « أهل » .
(٢) ابن جرير فى التفسير (٣٠/١٨٥) ومسلم (٢٠٣٨ / ١٤٠) وأبو داود (٥١٢٨) والترمذى (٢٣٦٩، ٢٨٢٢) .
(٣) المسند (٥/٣٧٢) وابن ماجه (٢١٤١) وفى زوائد البوصيرى :« هذا إسناد صحيح رجاله ثقات » .
(٤) الترمذى (٣٣٥٨) وصححه الألبانى وابن حبان فى صحيحه(٧٣٢٠ إحسان) .
(٥) الترمذى (٣٣٥٦) وابن ماجه (٤١٥٨) وحسنه الألبانى وهو فى المسند (٥/٤٢٩) .

عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ »[١] . ومعنى هذا : أنهم مقصرون فى شكر هاتين النعمتين ، لا يقومون بواجبهما ، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه ، فهو مغبون . وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : « يقول الله ، عز وجل ـ يوم القيامة : يابن آدم ، حملتك على الخيل والإبل ، وزوجتك النساء ، وجعلتك تَرْبَع وتراس ، فأين شكر ذلك ؟ »[٢] . تفرد به من هذا الوجه .

(١) البخارى (٦٤١٢) والترمذى (٢٣٠٤) وابن ماجه (٤١٧٠) .
(٢) المسند (٢/ ٤٩٢) ورواه مسلم (١٦/٢٩٦٨) .

تفسير سورة العصر

وهى مكية

روى الطبرانى عن عبد الله بن حصن قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا، لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر « سورة العصر » إلى آخرها ، ثم يسلم أحدهما على الآخر[1] . وقال الشافعى: لو تدبر الناس هذه السورة ، لوسعتهم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝ ﴾

العصر : الزمان الذى يقع فيه حَركاتُ بنى آدم ، من خير وشر. وقال زيد بن أسلم : هو العَشى، والمشهور الأول .

فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفى خسر ، أى : فى خسارة وهلاك ، ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم،وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ وهو أداء الطاعات ، وترك المحرمات ، ﴿وتواصوا بالصبر ﴾ على المصائب والأقدار ، وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

---

(١) الطبرانى فى الأوسط (٥٠٩٧).

تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة
وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾

الهمار بالقول ، واللمار بالفعل . يعنى: يزدرى الناس وينتقص بهم . وقد تقدم بيان ذلك فى قوله: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم:١١] .

قال ابن عباس: ﴿ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾: طعان معياب.وقال الربيع بن أنس: الهُمَزة : يهمزه فى وجهه، واللمزة من خلفه . وقال قتادة : يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه ،ويأكل لحوم الناس،ويطعنُ عليهم. وقال مجاهد : الهمزة : باليد والعين ، واللمزةُ : باللسان .وهكذا قال ابن زيد ، وزيد بن أسلم : هُمَزة لحوم الناس. ثم قال بعضهم: المراد بذلك الأخنس بن شَرِيق. وقيل غيره. وقال مجاهد : هى عامة .

وقوله :﴿ الذى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴾ أى: جمعه بعضه على بعض ،وأحصى عدده كقوله : ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ [المعارج:١٨] . قاله السدى، وابن جرير. وقال محمد بن كعب فى قوله : ﴿ جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴾: ألهاه ماله بالنهار ، هذا إلى هذا ، فإذا كان الليل ، نام كأنه جيفة منتنة.

وقوله :﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾أى: يظن أن جمعه المال يخلده فى هذه الدار ؟ ﴿ كَلا ﴾ أى : ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالى: ﴿ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ أى : ليلقين هذا الذى جمع مالاً فعدده فى الحطمة وهى اسم طبقة من أسماء النار؛ لأنها تحطم من فيها . ولهذا قال :﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ . الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ قال ثابت البنانى : تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء ، ثم يقول : لقد بلغ منهم العذاب ، ثم يبكى .وقال محمد بن كعب : تأكل كل شىء من جسده ، حتى إذا بلغت فؤاده حَذْوَ حلقه ترجع على جسده .

وقوله :﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ﴾ أى : مطبقة كما تقدم تفسيره فى سورة البلد .

وقوله: ﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ قال عطية العوفى: عمد من حديد . وقال السُّدِّى : من نار . وعن ابن عباس :﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ يعنى : الأبواب هى الممدودة .وقال قتادة فى قراءة عبد الله بن مسعود : إنها عليهم مؤصدة بعمد ممدة .وقال العوفى، عن ابن عباس : أدخلهم فى عَمَد فمدت عليهم بعماد ، وفى أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب .وقال قتادة : كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد فى النار . واختاره ابن جرير .وقال أبو صالح : ﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ يعنى: القيود الطوال .

تفسير سورة الفيل

وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾

هذه من النعم التى امتن الله بها على قريش ، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل ، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود ، فأبادهم الله ، وأرغم آنافهم ، وخيب سعيهم، وأضل عملهم ، ورَدهم بشر خيبة . وكانوا قوما نصارى ، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان . ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنه فى ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدرة يقول : لم ينصركم ـ يا معشر قريش ـ على الحبشة لخيريتكم عليهم ، ولكن صيانة للبيت العتيق الذى سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبى الأمى محمد ﷺ خاتم الأنبياء .

وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار والتقريب ، وقد تقدم فى قصة أصحاب الأخدود: أن ذا نُوَاس ـ وكان آخر ملوك حمير ، وكان مشركاً ـ هو الذى قتل أصحاب الأخدود ، وكانوا نصارى ، وكانوا قريباً من عشرين ألفاً ،فلم يفلت منهم إلا دَوس ذو ثعلبان ، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام ـ وكان نصرانياً ـ فكتب له إلى النجاشى ملك الحبشة ، لكونه أقرب إليهم ، فبعث معه أميرين : أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم ، فى جيش كثيف ، فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار ، واستلبوا الملك من حمير ،وهلك ذو نواس غريقاً فى البحر . واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران : أرياط وأبرهة ، فاختلفا فى أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا ، فقال أحدهما للآخر : إنه لا حاجة بنا إلى اصطلام الجيشين بيننا ، ولكن ابرز إلى وأبرز إليك ، فأينا قتل الآخر استقل بعده بالملك . فأجابه إلى ذلك فتبارزا ، وخَلْفَ كل واحد منهما قناة ، فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف ، فشرم أنفه وفمه وشق وجهه ، وحمل عَتُودَة مولى أبرهة على أرياط فقتله،ورجع أبرهة جريحاً ،داوى جرحه فَبَرأ ، واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن . فكتب إليه النجاشى يلومه على ما كان منه ،ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده ويجزّ ناصيته . فأرسل إليه أبرهة يترقق له ويصانعه، وبعث مع رسوله بهدايا وتحف، وبجراب فيها من تراب اليمن ، وجز ناصيته فأرسلها معه ، ويقول فى كتابه : ليطأ الملك على هذا الجراب فيبرّ قسمه، وهذه ناصيتى قد بعثت بها إليك . فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه ،ورضى عنه ،وأقره على عمله . وأرسل أبرهة يقول للنجاشى : إنى سأبنى لك كنيسة بأرض اليمن لم يُبْنَ قبلها مثلها . فشرع فى بناء كنيسة هائلة بصنعاء ، رفيعة البناء ، عالية الفناء ، مزخرفة الأرجاء . سمتها العرب القُلَّيس ؛ لارتفاعها ، لأن الناظر إليها تكاد تسقط قانسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها . وعزم أبرهة الأشرمُ على أن يصرف حَجّ العرب إليها كما يحج إلى الكعبة

بمكة ، ونادى بذلك فى مملكته ،فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك ، وغضبت قريش غضباً شديداً ، حتى قصدها بعضهم ، وتوصل إلى أن دخلها ليلاً . فأحدث فيها وكرّ راجعاً . فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمرهم إلى ملكهم أبرهة، وقالوا له : إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذى ضاهيت هذا به ، فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة ، وليخربنه حجراً حجراً .

وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوا فأججوا فيها ناراً ،وكان يوماً فيه هواء شديد فاحترقت ، وسقطت إلى الأرض .

فتأهب أبرهة لذلك ، وصار فى جيش كثيف عَرَمرم لئلا يصده أحد عنه ، واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة لم ير مثله . يقال له : محمود . وكان قد بعثه إليه النجاشى ملك الحبشة لذلك ، ويقال: كان معه أيضاً ثمانية أفيال ،وقيل : اثنا عشر فيلا غيره ، فالله أعلم . يعنى ليهدم به الكعبة، بأن يجعل السلاسل فى الأركان ، وتوضع فى عُنُق الفيل ، ثم يزجر ليلقى الحائط جملة واحدة . فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً ، ورأوا أن حقاً عليهم المحاجبة دون البيت ، وَرَدّ من أراده بكيد. فخرج إليه رجل من أشرف أهل اليمن وملوكهم ، يقال له « ذو نَفْر » فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله ، وما يريده من هدمه وخرابه . فأجابوه وقاتلوا أبرهة ، فهزمهم لما يريده الله ـ عز وجل ـ من كرامة البيت وتعظيمه ، وأسر « ذو نَفْر » فاستصحبه معه. ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم اعترض له نُفَيل بن حَبيب الخَثْعمى فى قومه: شَهْرَان [1] وناهس، فقاتلوه ، فهزمهم أبرهة ،وأسر نُفَيل بن حبيب ، فأراد قتله ثم عفا عنه ، واستصحبه معه ليدله فى بلاد الحجاز . فلما اقترب من أرض الطائف ،خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم ، الذى عندهم ، الذى يسمونه اللات . فأكرمهم وبعثوا معه « أبا رغَال » دليلاً . فلما انتهى أبرهة إلى المُغَمّس ـ وهو قريب من مكة ـ نزل به وأغار جيشه على سَرْح أهل مكة من الإبل وغيرها ، فأخذوه . وكان فى السرح مائتا بعير لعبد المطلب . وكان الذى أغار على السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة ، وكان يقال له : « الأسود بن مَقْصود» فهجاه بعض العرب ـ فيما ذكره ابن إسحاق ـ وبعث أبرهة حناطة الحميرى إلى مكة ، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش ، وأن يخبره أن الملك لم يجئ لقتالكم إلا أن تَصُدّوه عن البيت . فجاء حناطة فَدَلّ على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ،هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخلى بينه وبينه ، فو الله ما عندنا دَفْع عنه . فقال له حناطة : فاذهب معى إليه. فذهب معه ، فلما رآه أبرهة أجله ، وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً [2] حسن المنظر ، ونزل أبرهة عن سريره ،وجلس معه على البساط ، وقال لترجمانه : قل له: ما حاجَتك ؟ فقال للترجمان : إن حاجتى أن يردّ علىّ الملك مائتى بعير أصابها لى . فقال أبرهة لترجمانه: قل له : لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زَهِدت فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك ، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه ، لا تكلمنى فيه ؟! فقال

---

(١) فى المطبوعة : « شهدان » بالدال المهملة بعد الهاء ، وهو خطأ .قال فى القاموس : « رشَهْرَان بن عِفْرِس أبو قبيلة من خثعم» (مادة : شهر) .

(٢) فى المطبوعة :« جسيما » والمثبت من المخطوطة .

له عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل ، وإن للبيت ربا سيمنعه . قال : ما كان ليمتنع منى ! قال : أنت وذاك .

ويقال : إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت ، فأبى عليهم ، ورد أبرهة على عبد المطلب إبله ، ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة ،والتحصن فى رؤوس الجبال ، تخوفاً عليهم من مَعرة الجيش . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ،وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده،وقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهُـمَّ إنَّ المـرء يـمـ ـنَعُ رَحْلَه فامْنـع حـلالَك
لا يـغلـبنَّ صَلِيبـهُم ومِحَالُـهم غـدوًا مِحَالَك

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة الباب ، ثم خرجوا إلى رؤوس الجبال .

وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مُقَلَّدة ، لعل بعض الجيش ينال منها شيئا بغير حق ، فينتقم الله منه .

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ،وهيأ فيله ـ وكان اسمه محمودًا ـ وعبأ جيشه ، فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال : « ابرك محمود ، أو ارجع راشداً من حيث جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام » . ثم أرسل أذنه ،فبرك الفيل . وخرج نفيل ابن حبيب يَشتد حتى أصعد فى الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فأبى.فضربوا فى رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم فى مَرَاقه فبزغوه بها ليقوم ، فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول . ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك . ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك .ووجهوه إلى مكة فبرك. وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبَلَسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره، وحجران فى رجليه، أمثال الحمص والعَدس ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت.وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ،ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق. هذا ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ، ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة،وجعل نفيل يقول :

أينَ المَفَرُّ ؟ والإلهُ الطَّالب والأشرمُ المغلوبُ غير الغالب

قال ابن إسحاق : وقال نُفَيل فى ذلك أيضاً :

الا حُيِّيت عَنَّا يا رُدَينا نَعِمْناكُم مَعَ الإصباح عَينَا
رُدَينةُ ، لَو رأيت ـ ولا تَرَيْه لَدَى جَنْب المحصّب ـ ما رأينَا
إذا لَعَذَرتنى وَحَمَدت أمْرى ولَم تاسى عَلى مَا فات بَيْنَا
حَمِدتُ اللـه إذ أبصَرتُ طيراً وَخِفْتُ حَجارة تُلقَى عَلَينا
فَكُلّ القوم يَسألُ عَن نُفَيل كَأنَّ علىّ للحُبْشَان دَينَا !

وذكر الواقدى بإسناده أنهم لما تعبؤوا لدخول الحرم وهيؤوا الفيل ، جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب فيها ، فإذا وجهوه إلى الحرم ربَض وصاح . وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ، ليقهر الفيل على دخول الحرم . وطال الفصل فى ذلك . هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة ، منهم المطعم بن عدى ، وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، ومسعود بن عمرو الثقفى ، على حراء ينظرون إلى ما الحبشة يصنعون ،وماذا يلقون من أمر الفيل ، وهو العجب العجاب. فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله عليهم طيراً أبابيل ، أى قطَعًا قطَعًا صفرا دون الحمام ، وأرجلها حمر ، ومع كل طائر ثلاثة أحجار ، وجاءت فحلقت عليهم ، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا .

وقال محمد بن كعب : جاؤوا بفيلين فأما محمود فرَبَض ، وأما الآخر فَشَجُع فحُصِب . وقال وهب بن منبّه : كان معهم فيلة ، فأما محمود ـ وهو فيل الملك ـ فربض ، ليقتدى به بقية الفيلة ، وكان فيها فيل تَشَجّع فحصب ، فهربت بقية الفيلة . وقال عطاء بن يَسَار ، وغيره : ليس كلهم أصابه العذاب فى الساعة الراهنة ، بل منهم من هلك سريعاً ، ومنهم من جعل يتساقط عضواً عضواً وهم هاربون،وكان أبرهة ممن تساقط عضواً عضواً ، حتى مات ببلاد خثعم .

وقال ابن إسحاق : فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل ، وأصيب أبرهة فى جسده ،وخرجوا به معهم يسقط أنْمُلة أنْمُلة ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

وذكر مقاتل بن سليمان : ان قريشاً أصابوا مالاً جزيلاً من أسلابهم ،وما كان معهم ، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة . وقال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبَة أنه حدث أن أول ما رؤيت الحَصبة والجُدرى بأرض العرب ذلك العام .وهكذا روى عن عكرمة ، من طريق جيد . قال ابن إسحاق : فلما بعث الله محمدا ﷺ كان فيما يَعُد به على قريش من نعْمَته عليهم وفضله، ما ردّ عنهم من أمر الحبشة ،لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ . ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [سورة قريش] أى : لئلا يغير شيئاً من حالهم التى كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

قال ابن هشام: الأبابيل: الجماعات ، ولم تتكلم العرب بواحدة . قال: وأما السجيل ، فأخبرنى يونس النحوى وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب. قال : وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سنْج وجل يعنى بالسنج : الحجر ،والجِلّ : الطين. يقول : الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين .قال: والعصفُ : ورقُ الزرع الذى لم يُقصب، واحدته عصفة . انتهى ما ذكره . وقال ابن عباس ، والضحاك: أبابيل: يتبع بعضها بعضا. وقال الحسن البصرى ، وقتادة : الأبابيل : الكثيرة . وقال مجاهد : أبابيل : شتى متتابعة مجتمعة . وقال ابن زيد : الأبابيل : المختلفة، تأتى من هاهنا، ومن هاهنا ، أتتهم من كل مكان. وقال السُّدّى،

عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ حِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ قال : طين فى حجارة .

وقوله : ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ قال سعيد بن جبير : يعنى التبن الذى تسميه العامة : هبور . وفى رواية عن سعيد : ورق الحنطة . وعنه أيضاً : العصف : التبن . والمأكول : القصيل يجز للدواب. وكذلك قال الحسن البصرى . وعن ابن عباس : العصف : القشرة التى على الحبة ، كالغلاف على الحنطة .

والمعنى : أن الله،سبحانه وتعالى ،أهلكهم ودمرهم ، وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً، وأهلك عامتهم ، ولم يرجع منهم بخير إلا وهو جريح ، كما جرى لملكهم أبرهة ،فإنه انصدع صَدْرُه عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء ، وأخبرهم بما جرى لهم ، ثم مات. فملك بعده ابنه يكسوم، ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة . ثم خرج سيف بن ذى يَزَن الحميرى إلى كسرى فاستعانه على الحبشة، فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه ، فرد الله إليهم ملكهم ، وما كان فى آبائهم من الملك ، وجاءته وفود العرب بالتهنئة .

وقد قدمنا فى تفسير « سورة الفتح »[1] أن رسول الله ﷺ لما أطل يوم الحديبية على الثنية التى تهبط به على قريش ، بركت ناقته ، فزجروها فألحّت ، فقالوا : خلأت القصواء، أى:حَرَنت . فقال رسول الله ﷺ : « ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق ،ولكن حبسها حابس الفيل ». ثم قال: «والذى نفسى بيده ، لا يسألونى اليوم خطة يُعَظمون فيها حُرُمات الله ، إلا أجبتهم إليها » . ثم زجرها فقامت. والحديث من أفراد البخارى [2] .

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: « إن الله حبس عن مكة الفيل ،وسلّط عليها رسوله والمؤمنين ،وإنه قد عادت حُرمتُها اليوم كحرمتها بالأمس،ألا فليبلغ الشاهد الغائب»[3].

---

(١) راجع تفسير الآية (٢٦) .

(٢) وهو فى البخارى (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٣) البخارى (١١٢) ومسلم (٤٤٧/١٣٥٥)

تفسير سورة لإيلاف قريش

وهى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤ ﴾

هذه السورة متعلقة بما قبلها .كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ لأن المعنى عندهما :حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله ﴿ لإيلاف قُرَيْش ﴾ أى: لائتلافهم واجتماعهم فى بلدهم آمنين .

وقيل : المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة فى الشتاء إلى اليمن ، وفى الصيف إلى الشام فى المتاجر وغير ذلك ، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين فى أسفارهم ؛ لعظمتهم عند الناس ، لكونهم سكان حرم الله ، فمن عَرَفهم احترمهم ، بل من صوفى إليهم وسار معهم أمن بهم . هذا حالهم فى أسفارهم ورحلتهم فى شتائهم وصيفهم . وأما فى حال إقامتهم فى البلد ، فكما قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت:٦٧]. ولهذا قال: ﴿ لإيلاف قُرَيْش . إيلافِهِمْ ﴾ ، بدل من الأول ومفسر له. ولهذا قال: ﴿ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ .

وقال ابن جرير: الصواب أن « اللام » لام التعجب ، كأنه يقول : اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتى عليهم فى ذلك . قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان .

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ أى: فليوحدوه بالعبادة ، كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [النمل:٩١] .

وقوله :﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴾ أى : هو رب البيت ، وهو الذى أطعمهم من جوع ، ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ أى: تفضل عليهم بالأمن والرخص ، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً . ولهذا من استجاب لهذا الأمر جَمَعَ الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبهما منه ، كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ. وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [النحل:١١٢،١١٣] .

تفسير السورة التى يذكر فيها الماعون
وهى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى : أرأيت ـ يا محمد ـ الذى يكذب بالدين ؟ وهو : المعاد والجزاء والثواب ، ﴿ فذلك الذى يدُعُّ اليتيم ﴾ أى : هو الذى يقهر اليتيم ويظلمه حقه ،ولا يطعمه ولا يحسن إليه ، ﴿ ولا يحُضُّ على طعام المسكين ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ [الفجر:١٧،١٨] يعنى : الفقير الذى لا شىء له يقوم بأوده وكفايته .

ثم قال : ﴿ فويلٌ للمُصلين . الذين هُمْ عن صلاتهم ساهُون ﴾ ، قال ابن عباس ، وغيره : يعنى المنافقين، الذين يصلون فى العلانية ولا يصلون فى السر .ولهذا قال : ﴿ للمُصلين ﴾ أى : الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ، ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية ،كما قاله ابن عباس ، وإما عن فعلها فى الوقت المقدر لها شرعا ، فيخرجها عن وقتها بالكلية ، كما قاله مسروق ، وأبو الضحى . وقال عطاء بن دينار : الحمد لله الذى قال : ﴿ عن صلاتهم ساهُون ﴾ ، ولم يقل : فى صلاتهم ساهون.

وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا . وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به . وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل هذا كله ، ولكل من اتصف بشىء من ذلك قسط من هذه الآية . ومن اتصف بجميع ذلك ، فقد تم نصيبه منها ، وكمل له النفاق العملى . كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يَرْقُب الشمس ، حتى إذا كانت بين قَرْنَى الشيطان قام فَنَقَرَ أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلاً »(١) . فهذا آخر صلاة العصر التى هى الوسطى ، كما ثبت به النص إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة ، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب ، لم يطمئن ولا خَشَع فيها أيضا ؛ ولهذا قال: « لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » . ولعله إنما حمله على القيام إليها مراءاة الناس ، لا ابتغاء وجه الله ، فهو إذاً لم يصل بالكلية . قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢] . وقال هاهنا : ﴿ الذين هم يُراءُون ﴾ .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : « من سَمَّع الناس بعمله، سَمَّع الله به سامعَ خلقه ، وحَقَّره وصَغَّره »(٢) .

---

(١) مسلم (٦٢٢ / ١٩٥) ولم يعزه صاحب التحفة (١/ ٢٩٦) للبخارى .

(٢) المسند (٦٩٨٦) وقال الشيخ أحمد شاكر :«إسناده صحيح» وهو فى المسند أيضاً برقم (٦٥٠٩) وقال الشيخ شاكر: «إسناده صحيح» .

وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ، أو صلاتها بعد وقتها شرعا ، أو تأخيرها عن أول الوقت .

وقوله : ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ أى : لا أحسنوا عبادة ربهم ، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به ، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم . فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القُرُبات أولى وأولى. وقد قال مجاهد : قال على: الماعون : الزكاة . وكذا رواه السدى ، عن أبى صالح ، عن على. وكذا روى من غير وجه عن ابن عمر . وبه يقول محمد بن الحنفية،وسعيد بن جبير ، وعِكْرِمة، ومجاهد .

وقال الحسن البصرى : إن صلى راءى ، وإن فاتته لم يأس عليها ، ويمنع زكاة ماله . وفى لفظ:صدقة ماله.وقال زيد بن أسلم: هم المنافقون ، ظهرت الصلاة فصلوها ،وخفيت الزكاة فمنعوها.وقال يحيى بن الجزار : إن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون ، فقال : هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس ، والقدر ، والدلو.

وروى ابن جرير عن عبد الله قال : كنا أصحاب رسول الله ﷺ نتحدث أن الماعون الدلوُ ، والفأس ، والقدر ، لا يستغنى عنهن[1] .

وعن أبى إسحاق قال : سمعت سعدَ بن عياض يحدث عن أصحاب النبى ﷺ مثله . وعن عبد الله: أنه سئل عن الماعون ، فقال : ما يتعاوره الناس بينهم : الفأس والدلو ،وشبهه .

وقال ابن عباس:﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ يعنى:متاع البيت. وكذا قال مجاهد وإبراهيم النَّخعى،وسعيد ابن جبير ، وغير واحد : إنها العاريَّة للأمتعة .

وقال ليث بن أبى سليم ، ومجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ قال : لم يجئ أهلها بعد. وقال عكرمة : رأس الماعون زكاةُ المال ،وأدناه المنخل ،والدلو ،والإبرة. رواه ابن أبى حاتم . وهذا الذى قاله عكْرِمة حسن ، فإنه يشمل الأقوال كلها ،وترجع كلها إلى شىء واحد . وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة . ولهذا قال محمد بن كعب : ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ قال : المعروف . ولهذا جاء فى الحديث : « كل معروف صدقة »[2] . وروى ابن أبى حاتم عن الزهرى:﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ قال: بلسان قريش: المال.

---

(١) ابن جرير فى التفسير (٣٠/ ٢٠٥) .

(٢) البخارى (٦٠٢١) ومسلم (١٠٠٥ / ٥٢) .

تفسير سورة الكوثر

وهى مدنية ، وقيل : مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝ ﴾

قد ورد فى صفة الحوض يوم القيامة أنه يَشْخَب فيه ميزابان من السماء عن نهر الكوثر، وأن آنيته عدد نجوم السماء. وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائى، ولفظ مسلم قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا فى المسجد ، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله؟ قال : « أنزلت على آنفا سورة » ، فقرأ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ . ثم قال: « أتدرون ما الكوثر ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم. قال: « فإنه نهر وَعَدنيه ربى ، عز وجل ،عليه خير كثير ،هو حوض تَرِدُ عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فَيختلجُ العبد منهم ، فأقول: رب إنه من أمتى. فيقول : إنك لا تدرى ما أحدث بعدك » [1] . وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية ، وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة ، وأنها منزلة معها .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ فقد تقدم فى هذا الحديث أنه نهر فى الجنة . وقد رواه الإمام أحمد عن أنس أنه قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ .قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيتُ الكوثر ، فإذا هو نهر يجرى ، ولم يُشق شقاً ،وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ ، فضربت بيدى فى تربته ، فإذا مسكه ذَفِرة ، وإذا حصباه اللؤلؤ » [2]. روى الإمام أحمد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «دخلت الجنة فإذا أنا بنهر ، حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت بيدى إلى ما يجرى فيه الماء ، فإذا مسك أذفر . قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاكه الله ، عز وجل ».ورواه البخارى ومسلم، عن أنس بن مالك قال :لما عُرجَ بالنبى ﷺ إلى السماء قال :« أتيتُ على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر » . وهذا لفظ البخارى [3] . وروى ابن جرير عن شريك بن أبى نمر، قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال : لما أسرى برسول الله ﷺ، مضى به جبريل فى السماء الدنيا ، فإذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فذهب يَشمّ تُرابه ، فإذا هو مسك. قال: « يا جبريل ، ما هذا النهر ؟ قال : هو الكوثر الذى خبّأ لك ربك » . وهو مخرج فى الصحيحين [4].

وروى البخارى عن أبى عبيدة ، عن عائشة قال : سألتها عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ،

---

(١) مسلم (٤٠٠ / ٥٣) وأبو داود (٤٧٤٧) والنسائى فى الكبرى (١١٧٠٢) .

(٢) المسند (٣/ ١٥٢) ورواه الترمذى (٣٣٦١) وقال: « حسن صحيح » .

(٣) المسند (٣/ ١٠٣) والبخارى (٤٩٦٤) وعزاه صاحب التحفة (١/ ٣٣٧) للبخارى ومسلم ثم قال : « حديث مسلم هذا لم يذكره أبو السعود » ، وقال صاحب النكت الظراف : « أورده الحميدى فى أفراد البخارى » .

(٤) ابن جرير فى التفسير (٣٠/ ٢٠٧) والبخارى (٧٥١٧) ومسلم (١٦٢/ ٢٦٢) .

قالت: نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه دُرّ مجوف، آنيته كعدد النجوم. ورواه أحمد والنسائي[١]. ثم قال البخاري عن ابن عباس أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يَزْعُمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه[٢]. وعن ابن عباس قال: الكوثر: الخير الكثير[٣]. وهذا التفسير يعم النهر وغيره؛ لأن الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، حتى قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة. وقال عكرمة: هو النبوة والقرآن، وثواب الآخرة. وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضاً، فروى ابن جرير عن ابن عباس قال: الكوثر: نهر في الجنة، حافتاه ذهب وفضة، يجري على الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل[٤].

وقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل». وهكذا رواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح[٥].

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهرُ الذي تقدم صفته فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونَحْرَك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، قال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن: يعني بذلك نحر البُدْن ونحوها. وكذا قال قتادة، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك وغير واحد من السلف. وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله، والذبح على غير اسمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الآية [الأنعام: ١٢١].

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَانْحَرْ﴾: وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر. يُروَى هذا عن علي، ولا يصح. وعن الشعبي مثله. وعن أبي جعفر الباقر: ﴿وَانْحَرْ﴾ يعني: ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة. وقيل: ﴿وَانْحَرْ﴾ أي: استقبل بنحرك القبلة. ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير. وكل هذه الأقوال غريبة جدا. والصحيح القول الأول: أن المراد بالنحر ذبح المناسك؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد، ثم ينحر نسكه ويقول: «من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك. ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له». فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، إني نَسَكتُ شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم. قال: «شاتك شاة لحم». قال: فإن عندي عناقا هي أحب إليَّ من شاتين، أفتجزئ عني؟ قال: «تجزئك، ولا تجزئ أحداً بعدك»[٦]. قال ابن جرير: والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ما

---

(١) البخاري (٤٩٦٥) والمسند (٦/٨١) والنسائي في الكبرى (٦١٧٠٥).
(٢) البخاري (٤٩٦٦). (٣) البخاري (٦٥٧٨).
(٤) ابن جرير في التفسير (٣٠/٢٠٧).
(٥) المسند (٦٤٧٦) والترمذي (٣٣٦١) وابن ماجه (٤٣٣٤). وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».
(٦) البخاري (٩٨٣).

سواه من الأنداد والآلهة ، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان ؛ شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير ، الذى لا كِفَاء له ، وخصك به. وهذا الذى قاله فى غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى : محمد بن كعب القرظى ،وعطاء .

وقوله :﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر ﴾ أى : إن مبغضك ـ يا محمد ـ ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكْرُه . قال ابن عباس ، ومجاهد، وسعيد بن جبير ، وقتادة : نزلت فى العاص بن وائل . وقال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان قال : كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول : دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له ، فإذا هلك انقطع ذكره . فأنزل الله هذه السورة . وقال شَمِر بن عطية : نزلت فى عقبة بن أبى مُعَيط . وقال ابن عباس أيضا، وعكرمة : نزلت فى كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش. وروى البزار: عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المُصَنْبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ،ونحن أهل الحجيج ، وأهل السدانة وأهل السقاية ؟ فقال : أنتم خير منه . قال : فنزلت : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر ﴾ . هكذا رواه البزار (١) ،وهو إسناد صحيح . وقال عطاء: نزلت فى أبى لهب ، وذلك حين مات ابن رسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال : بُتِرَ محمد الليلة . فأنزل الله فى ذلك :﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ .وعن ابن عباس : نزلت فى أبى جهل . وعنه: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ يعنى : عدوك . وهذا يَعُمُّ جميعَ من اتصفَ بذلك ممن ذكر ، وغيرهم . وقال عكرمة: الأبتر : الفرد . وقال السُّدِّى : كانوا إذا مات ذكورُ الرجل قالوا : بُتر . فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا : بتر محمد . فأنزل الله : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر ﴾ . وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذى إذا مات انقطع ذكره ، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره ، وحاشا وكلا ، بل قد أبقى الله ذكره على رؤوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمرا على دوام الآباد ، إلى يوم الحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد .

(١) البزار فى المسند (٢٢٩٣ كشف الأستار) .

تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

وهى مكية

ثبت فى صحيح مسلم ، عن جابر : أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة ، وبـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فى ركعتى الطواف (١) . وروى الإمام أحمد عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ فى الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة ـ أو: بضع عشرة مرة ـ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٢) . وروى أحمد عن ابن عمر قال : رمقت النبى ﷺ أربعاً وعشرين ـ أو : خمسا وعشرين ـ مرة ، يقرأ فى الركعتين قبل الفجر ، والركعتين بعد المغرب بـ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٣) . وروى أحمد عن ابن عمر قال : رَمقتُ النبى ﷺ شهراً ، وكان يقرأ فى الركعتين قبل الفجر بـ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . وكذا رواه الترمذى وابن ماجه . وقال الترمذى : هذا حديث حسن (٤). وروى أبو القاسم الطبرانى عن جبلة بن حارثة ـ وهو أخو زيد بن حارثة ـ أن النبى ﷺ قال : «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ حتى تمر بآخرها ، فإنها براءة من الشرك » (٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝ ﴾

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذى يعمله المشركون ، وهى آمرة بالإخلاص فيه ، فقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ شمل كل كافر على وجه الأرض ، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفارُ قريش . وقيل : إنهم من جهلهم دَعَوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة ، فأنزل الله هذه السورة ، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية ، فقال : ﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ يعنى : من الأصنام والأنداد ، ﴿ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ وهو الله وحده لا شريك له . فـ « ما » هاهنا بمعنى «من » .

ثم قال : ﴿ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ أى : ولا اعبد عبادتكم ، أى : لا أسلكها ولا اقتدى بها ، وإنما أعبد الله على الوجه الذى يحبه ويرضاه ؛ ولهذا قال : ﴿ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أى : لا تقتدون بأوامر الله وشرعه فى عبادته ، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم ، كما قال : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾ [النجم:٢٣] ، فتبرأ منهم فى جميع ما هم

---

(١) مسلم (١٢١٨/١٤٧)

(٢) المسند (٤٧٦٣) وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » .

(٣) المسند (٥٧٤٢) وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » .

(٤) المسند (٥٦٩١) والترمذى (٤١٧) وابن ماجه (١١٤٩) وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » .

(٥) الطبرانى فى المعجم الكبير (٢/٢٨٧) (٢١٩٥) وقال الهيثمى فى الزوائد (١٠/١٢٤) : « رجاله وثقوا » .

فيه، فإن العابد لابد له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ؛ ولهذا كان كلمة الإسلام « لا إله إلا الله محمد رسول الله » أى : لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ؛ ولهذا قال لهم الرسول ﷺ : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:٤١] ، وقال : ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ [القصص:٥٥] .

وقال البخارى : يقال : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ :الكفر ، ﴿ وَلِيَ دِينِ ﴾ :الإسلام. ولم يقل: « دينى» لأن الآيات بالنون، فحذف الياء ،كما قال: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٧٨] ، و﴿ يَسْقِينِ[1]﴾ [الشعراء:٧٩] . وقال غيره :لا أعبد ما تعبدون الآن ، ولا أجيبكم فيما بقى من عمرى، ولا أنتم عابدون ما أعبد، وهم الذين قال: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [المائدة:٦٤] .انتهى ما ذكره[2] .

ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد ، كقوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح:٥ ، ٦]،وكقوله: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر:٦، ٧] .وحكاه بعضهم ـ كابن الجوزى، وغيره ـ عن ابن قتيبة ، فالله أعلم. فهذه ثلاثة أقوال : أولها: ما ذكرناه أولاً. الثانى: ما حكاه البخارى وغيره من المفسرين أن المراد: ﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ فى الماضى ، ﴿ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾فى المستقبل. الثالث :أن ذلك تأكيد محض .

وثم قول رابع ، نصره أبو العباس بن تَيمية فى بعض كتبه ، وهو أن المراد بقوله : ﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ : نفى الفعل لأنها جملة فعلية ، ﴿ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ : نفى قبوله لذلك بالكلية ؛ لأن النفى بالجملة الإسمية آكد فكأنه نفى الفعل ، وكونه قابلا لذلك ومعناه نفى الوقوع ونفى الإمكان الشرعى أيضا . وهو قول حسن أيضا ، والله أعلم .

وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعى وغيره بهذه الآية الكريمة: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ على أن الكفر كله ملة واحدة فَورِّث اليهود من النصارى وبالعكس ؛ إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به ؛ لأن الأديان ـ ما عدا الإسلام ـ كلها كالشىء الواحد فى البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس ؛ لحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتوارث أهل ملتين شتى »[3] .

---

(١) فى المطبوعة : ﴿يشفين ﴾ وهى الآية (٨٠)من الشعراء، وأثبتنا ما فى المخطوطة ، وكلاهما جائز الاستدلال به .

(٢) البخارى (٨ / ٧٣٣ فتح) .

(٣) المسند (٦ ٨٤٤) وأبو داود (٢٩١١) وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » .

تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح

وهى مدنية

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن، و﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ تعدل ربع القرآن (١). وروى النسائى عن عُبَيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال : قال لى ابن عباس : يا ابن عتبة ، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت: نعم ، ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾. قال: صدقت (٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾

روى البخارى عن ابن عباس قال : كان عمر يُدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وَجَد فى نفسه، فقال: لم يَدْخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رئيت أنه دعانى فيهم يومئذ إلا ليُريهم، فقال: ما تقولون فى قول الله ، عز وجل: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نَحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفُتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لى : أكذلك تقول يا بن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت: هو أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فذلك علامة أجلك، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾. فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول. تفرد به البخارى. وروى ابن جرير عن ابن عباس ، فذكر مثل هذه القصة ، أو نحوها (٣).

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : لما نَزَلت : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : « نُعِيَت إلىّ نفسى » بأنه مقبوض فى تلك السنة . تفرد به أحمد (٤) . وهكذا قال مجاهد ، وأبو العالية ، والضحاك ، وغير واحد : إنها أجل رسول الله ﷺ نُعِى إليه . وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ علم النبى ﷺ أنه قد نُعيت إليه نفسه ، فقيل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ، السورة كلها (٥) . وروى الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : لما نزلت هذه السورة : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾، قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها ، فقال : « الناس حيز ، وأنا وأصحابى حيز» . وقال : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية». فقال له مَرْوان : كذبت ـ وعنده رافع بن خَديج ، وزيد بن ثابت ، قاعدان معه على السرير ـ فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدثاك، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن

(١) راجع تفسير سورة الزلزلة .
(٢) النسائى فى الكبرى (١١٧١٣) ، ورواه مسلم (٢١/٣٠٢٤) .
(٣) البخارى (٤٩٧٠) وابن جرير فى التفسير (٣٠ / ٢١٥) .
(٤) المسند (١٨٧٣) وقال الشيخ أحمد شاكر :« إسناده صحيح » .
(٥) المسند (٣٢٠١) وقال الشيخ أحمد شاكر :« إسناده صحيح » .

الصدقة. فرفع مروان عليه الدرة ليضربه ، فلما رأيا ذلك قالا : صدق [١] . تفرد به أحمد، وهذا الذى أنكره مروان على أبى سعيد ليس بمنكر ، فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح : « لا هجرة ،ولكن جهاد ونية ،ولكن إذا استنفرتم فانفروا». أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما [٢] .

فالذى فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر ، مِنْ أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه ، يعنى نصلى ونستغفره ـ معنى مليح صحيح ، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبى ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثمانى ركعات ،فقال قائلون: هى صلاة الضحى. وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها ، فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافراً لم يَنْو الإقامة بمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريباً من تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة ويُفطر هو وجميع الجيش، وكانوا نحواً من عشرة آلاف . قال هؤلاء : وإنما كانت صلاة الفتح ، قالوا : فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلداً أن يصلى فيه أول ما يدخله ثمانى ركعات .وهكذا فعل سعد بن أبى وقاص يوم فتح المدائن ، ثم قال بعضهم : يصليها كلها بتسليمة واحدة . والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين .

وروى البخارى عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى » يتأول القرآن.وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذى [٣] . وروى الإمام أحمد عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر فى آخر أمره من قول : « سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه ». وقال : « إن ربى كان أخبرنى أنى سأرى علامة فى أمتى، وأمرنى إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره ، إنه كان توابا ، فقد رأيتها : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ » .ورواه مسلم [٤] .

والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولاً واحداً ، فإن أحياء العرب كانت تَتَلَوَّم بإسلامها فتح مكة ، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبى . فلما فتح الله عليه مكة دخلوا فى دين الله أفواجاً ، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً ، ولم يبق فى سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ، ولله الحمد والمنة .وقد روى البخارى فى صحيحه عن عمرو بن سلمة قال : لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ ، وكانت الأحياء تَتَلَوَّمُ بإسلامها فتح مكة ، يقولون : دعوه وقومه ، فإن ظهر عليهم فهو نبى . الحديث . وقد حَرَّرنا غزوة الفتح فى كتابنا : السيرة ، فمن أراد فليراجعه هناك ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) المسند (٣/ ٢٢) .

(٢) البخارى (١٣٤٩ ، ١٨٣٤) ومسلم (١٣٥٣/ ٤٤٥) .

(٣) البخارى (٤٩٦٨) ومسلم (٤٨٤/ ٢١٧) وأبو داود (٨٧٧) وابن ماجه (٨٨٩)

(٤) المسند (٦/ ٣٥) ومسلم (٤٨٤ / ٢٢٠) .

تفسير سورة تبت

وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ ﴾

روى البخارى عن ابن عباس : أن النبى ﷺ خرج إلى البطحاء ، فصعد الجبل فنادى : « يا صباحاه ». فاجتمعت إليه قريش، فقال: « أرأيتم إنْ حَدثتكم أن العدوّ مُصبحكم أو مُمْسيكم ، أكنتم تصدقونى ؟ » . قالوا: نعم . قال : « فإنى نذيرٌ لكم بين يدى عذاب شديد ». فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا ؟ تبا لك . فأنزل الله : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ، إلى آخرها [١] . وفى رواية : فقام ينفض يديه، وهو يقول: تبا لك سائر اليوم . ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [٢]. الأول دعاء عليه، والثانى خبر عنه . فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه : عبد العُزّى ابن عبد المطلب ، وكنيته أبو عُتبة . وإنما سمى « أبا لهب » لإشراق وجهه ، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له ، والازدراء به ، والتنقص له ولدينه .

روى الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد ، من بنى الديل ـ وكان جاهلياً فأسلم ـ قال : رأيت النبى ﷺ فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس ، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا » . والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحولُ ذو غديرتين ، يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب [٣]. ثم رواه عن سُرَيج ، عن ابن أبى الزناد، عن أبيه ، فذكره ، قال أبو الزناد : قلت لربيعة : كنت يومئذ صغيراً ؟ قال : لا ، والله إنى يومئذ لأعقل أنى أزفر القربة . تفرد به أحمد .

وقال ابن إسحاق : حدثنى حُسَين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس قال : سمعت ربيعة بن عباد الديلى يقول : إنى لمع أبى رجل شاب ، أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ـ ووراءه رجل أحول وضىء ، ذو جُمَّة ـ يقفُ رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول : « يا بنى فلان ، إنى رسول الله إليكم، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تصدقونى وتمنعونى حتى أنفُذَ عن الله ما بعثنى به ». وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بنى فلان ، هذا يريد منكم أن تسلُخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الحى من بنى مالك بن أُقَيْش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه . فقلت لأبى: من هذا ؟ قال: عمه أبو لهب . رواه أحمد والطبرانى بهذا اللفظ [٤] .

---

(١) البخارى (٤٩٧٢) .

(٢) البخارى (١٣٩٤ ، ٣٥٢٥ ، ٤٨٠١) .

(٣) المسند (٤/ ٣٤١) .

(٤) المسند (٣/ ٤٩٢) والطبرانى فى المعجم الكبير (٥/ ٦٣) (٤٥٨٩) وقال الهيثمى فى الزوائد (٦/ ٣٩) : « فيه حسين بن عبد الله بن عبيد الله وهو ضعيف ، ووثقه ابن معين فى رواية » .

فقوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ أى : خسرت وخابت ، وضل عمله وسعيه ، ﴿ وَتَبَّ ﴾ أى : وقد تَبَّ تحققُ خسارته وهلاكه . وقوله : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ قال ابن عباس وغيره : ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ يعنى: ولده. وَرُوِى عن عائشة ، ومجاهد ، وعطاء ، والحسن ، وابن سيرين مثله . وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان ، قال أبو لهب : إذا كان ما يقول ابن أخى حقا ، فإنى أفتدى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى . فأنزل الله : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ .

وقوله: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أى: ذات شرر ولهيب وإحراق شديد ، ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ وكانت زوجته من سادات نساء قريش ، وهى : أم جميل ،واسمها أروى بنتُ حرب بن أمية ، وهى أخت أبى سفيان . وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده ؛ فلهذا تكون يوم القيامة عَوناً عليه فى عذابه فى نار جهنم . ولهذا قال : ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ يعنى : تحمل الحطب فتلقى على زوجها، ليزداد على ما هو فيه ، وهى مُهَيَّأة لذلك مستعدة له . ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ قال مجاهد، وعروة : من مَسد النار . وعن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والثورى، والسدى : ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾: كانت تمشى بالنميمة .قال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت : لأنفقنها فى عداوة محمد ، يعنى : فأعقبها الله بها حبلاً فى جيدها من مسد النار . وعن الشعبى قال : المسد : الليف ، وقال مجاهد: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ أى: طوق من حديد ، ألا ترى أن العرب يسمون البَكْرة مَسَداً ؟

عن أسماء بنت أبى بكر قالت : لما نزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ، أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ، ولها ولولة ، وفى يدها فهر ، وهى تقول :

مُذَمَّماً أَبَيْنَا ودينَه قَلَيْنا وَأَمْرَه عَصينا

ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله ، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك . فقال رسول الله ﷺ : « إنها لن ترانى ». وقرأ قرآنا اعتصم به ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء:٤٥] . فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت : يا أبا بكر ، إنى أخبرتُ أن صاحبك هجانى ؟ قال : لا ، ورب هذا البيت ما هجاك . فولت وهى تقول : قد علمت قريش أنى ابنة سيدها . قال : وقال الوليد فى حديثه أو غيره : فعثَرَت أم جميل فى مِرْطها وهى تطوف بالبيت، فقالت : تَعس مُذَمَّم . فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب : إنى لحصانُ فما أكلَّم ، وثَقَافُ فما أعلَّم ، وكلنا من بنى العم ،وقريش بعد أعلم [1] . ثم قال البزار : لا نعلمه يُروَى بأحسنَ من هذا الإسناد ، عن أبى بكر ، رضى الله عنه .

وقد قال بعض أهل العلم فى قوله تعالى : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ أى : فى عنقها حبل من نار جهنم تُرفَع به إلى شفيرها ، ثم يرمى بها إلى أسفلها ، ثم كذلك دائما .

---

(١) مسند أبى يعلى (٥٣) .

قال العلماء : وفى هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة ، فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا ، ولا واحد منهما لا ظاهراً ولا باطناً ، لا سراً ولا معلناً ، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة .

obeikandl.com

تفسير سورة الإخلاص

وهى مكية

ذكر سبب نزولها وفضلها

روى الإمام أحمد عن أبىّ بن كعب : أن المشركين قالوا للنبى ﷺ : يا محمد ، انسب لنا ربك ، فأنزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .وكذا رواه الترمذى، وابن جرير[١] . وروى البخارى عن عائشة : أن النبى ﷺ بعث رجلاً على سَرِيَّة ، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم ، فيختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ ، فقال: « سلوه : لأىّ شىء يصنع ذلك ؟ » . فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبى ﷺ: « أخبروه أن الله تعالى يحبه » وقد رواه مسلم والنسائى[٢] . وروى البخارى عن أبى سعيد ؛ أن رجلاً سمع رَجُلاً يقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أحَد ﴾ ، يرددها ، فلما أصبح جاء إلى النبى ﷺ ، فذكر ذلك له ، وكأن الرجل يتقالّها ، فقال النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن »ورواه أبو داود والنسائى[٣]. وروى البخارى : عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة ؟ » . فشق ذلك عليهم وقالوا : أينا يُطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال : «الله الواحد الصمد ثلث القرآن ».تفرد بإخراجه البخارى[٤]. وروى الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « احشُدوا ، فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن » . فحشد من حشد ، ثم خرج نبى الله ﷺ فقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أحَد ﴾ . ثم دخل، فقال بعضنا لبعض : قال رسول الله ﷺ : « فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن » . إنى لأرى هذا خبراً جاء من السماء ، ثم خرج نبى الله ﷺ فقال : « إنى قلت : سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن ». وهكذا رواه مسلم . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب[٥] . وروى الإمام أحمد عن أبى الدرداء ، أن رسول الله ﷺ قال: « أيعجزُ أحدُكم أن يقرأ كلّ يوم ثلث القرآن ؟ » قالوا: نعم يا رسول الله ، نحن أضعفُ من ذلك وأعجز .قال :« فإن الله جزّأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ ثلث القرآن ». ورواه مسلم والنسائى [٦]. وروى البخارى عن عائشة أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كُل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما :﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ . ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات . وهكذا رواه أهل السنن [٧] .

---

(١) المسند (٥/١٣٣) والترمذى (٣٣٦٤) وحسنه الألبانى ، وابن جرير فى التفسير (٣٠/٢٢١ ، ٢٢٣) .
(٢)البخارى (٧٣٧٥) ومسلم (٨١٣ / ٢٦٣) والنسائى (٩٩٣) .
(٣) البخارى (٧٣٧٤، ٥٠١٣ ، ٦٦٤٣) وأبو داود (١٤٦١) والنسائى (٩٩٥) .
(٤) البخارى (٥٠١٥) . (٥) الترمذى (٢٩٠٠) ومسلم (٨١٢ / ٢٦١) .
(٦) المسند (٦/٤٤٢) ومسلم (٨١١ / ٢٥٩) والنسائى فى الكبرى (١٠٥٣٧) .
(٧) البخارى (٥٠١٧) وأبو داود (٥٠٥٦) والترمذى (٣٤٠٢) والنسائى فى الكبرى (١٠٦٢٤) وابن ماجه(٣٨٧٥) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾

قد تقدم ذكر سبب نزولها . وقال عكرمة : لما قالت اليهود : نحن نعبد عُزيرَ ابن الله . وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح ابن الله .وقالت المجوس : نحن نعبد الشمس والقمر . وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان ـ أنزل الله على رسوله ﷺ :﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ .يعنى : هو الواحد الأحد ،الذى لا نظير له ولا وزير ، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ، ولا يُطلَق هذا اللفظ على أحد فى الإثبات إلا على الله ، عز وجل ؛ لأنه الكامل فى جميع صفاته وأفعاله .

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ قال ابن عباس:يعنى الذى يصمد الخلائق إليه فى حوائجهم ومسائلهم.وعنه: هو السيد الذى قد كمل فى سؤدده ، والشريف الذى قد كمل فى شرفه ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته، والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته. وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له ، ليس له كفء ، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار . وقال أبو وائل : ﴿ الصَّمَدُ﴾ : السيد الذى قد انتهى سؤدده ، وعن ابن مسعود مثله.وقال زيد بن أسلم : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : السيد . وقال الحسن ، وقتادة : هو الباقى بعد خلقه . وقال الحسن أيضا : ﴿الصَّمَدُ﴾ : الحى القيوم الذى لا زوال له . وقال عكرمة : ﴿الصَّمَدُ﴾: الذى لم يخرج منه شيء ولا يطعم . وقال الربيع بن أنس: هو الذى لم يلد ولم يولد . كأنه جعل ما بعده تفسيراً له ، وهو قوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ، وهو تفسير جيد . وقال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعبد الله بن بُريدة، وعكرمة أيضا ، وسعيد بن جبير ، وعطاء بن أبى رباح ، وعطية العوفى، والضحاك ، والسدى: ﴿الصَّمَدُ﴾ : الذى لا جوف له .وقال الشعبى : هو الذى لا يأكل الطعام ، ولا يشرب الشراب .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى كتاب السنة له ، بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال فى تفسير «الصمد» : وكل هذه صحيحة ، وهى صفات ربنا ، عز وجل ، وهو الذى يُصمَد إليه فى الحوائج ، وهو الذى قد انتهى سؤدده ، وهو الصمد الذى لا جوف له ، ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقى بعد خلقه . وقال البيهقى نحو ذلك أيضا. وقوله : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾ اى: ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة . قال مجاهد : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾ يعنى : لا صاحبة له . وهذا كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الانعام:١٠١] أى : هو مالك كل شيء وخالقه ، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه ، أو قريب يدانيه ، تعالى وتقدس وتنزه . قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا . أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا . وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا

آتي الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم:٨٨ ـ٩٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦، ٢٧] ،وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٥٨ ، ١٥٩]. وفى صحيح البخارى : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولدا ، وهو يرزقهم ويعافيهم »(١) . وروى البخارى عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ قال: « قال الله ، عز وجل: كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فقوله : لن يُعيدَنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون علىّ من إعادته . وأما شتمه إياى فقوله : اتخذ الله ولداً . وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد »(٢) .

(١) البخارى (٦٠٩٩) .

(٢) البخارى (٤٩٧٤ ، ٤٩٧٥) .

obeikandl.com

تفسير سورتى المعوذتين

وهما مدنيتان

روى مسلم عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُر مثلهن قط : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ». ورواه أحمد والترمذى ،والنسائى، وقال الترمذى : حسن صحيح(١) .

وروى الإمام مالك عن عائشة : أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه،رجاء بركتها . ورواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه(٢) . وتقدم فى آخر سورة : ﴿ ن﴾، من حديث أبى نضرة ، عن أبى سعيد : أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان ،فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما ، وترك ما سواهما . رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه ، وقال الترمذى : حديث حسن(٣) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾

عن جابر قال: الفلق : الصبح .وقال العوفى ، عن ابن عباس :﴿ الْفَلَقِ﴾: الصبح . ورُوى عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة مثل هذا . قال ابن زيد ، وابن جرير : وهى كقوله تعالى: ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾ [الانعام:٩٦] . وهذا هو الصحيح ، وهو اختيار البخارى فى صحيحه(٤) .

وقوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ أى : من شر جميع المخلوقات . وقال ثابت البنانى ، والحسن البصرى : جهنم وإبليس وذريته مما خلق . ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قال مجاهد : غاسق: الليل، إذا وقبَ: غُروبُ الشمس .وكذا قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظى ، والضحاك ، وخُصَيف ، والحسن ، وقتادة : إنه الليل إذا أقبل بظلامه . وقال الزهرى :﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾: الشمس إذا غربت. وعن عطية وقتادة: إذا وقب الليل : إذا ذهب . وقال أبو هريرة : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ : كوكب . وقال ابن زيد : كانت العرب تقول : الغاسق سقوط الثريا ، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها .

قال ابن جرير:وقال آخرون: هو القمر. قلت: وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد عن أبى سلمة قال: قالت عائشة: أخذ رسول الله ﷺ بيدى، فأرانى القمر حين يطلع، وقال: « تَعوَّذى بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب » . ورواه الترمذى والنسائى ،وقال الترمذى:حسن صحيح. ولفظه:

---

(١) مسلم (٨١٤/٢٦٤) والمسند (٤/ ١٤٤) والترمذى (٢٩٠٢) والنسائى (٩٥٤) .

(٢) مالك فى الموطأ (٢/ ٩٤٢) والبخارى (٥٠١٦) ومسلم (٢١٩٢ / ٥١) وأبو داود (٣٩٠٢) والنسائى فى الكبرى (٧٥٤٤ ، ٧٥٤٩، ١٠٨٤٧) وابن ماجه (٣٥٢٩) .

(٣) مضى تخريجه هناك .

(٤) البخارى (٨/ ٧٤١ فتح) .

« تعوذى بالله من شر هذا ، فإن هذا الغاسق إذا وقب » .ولفظ النسائى: « تعوَّذى بالله من شر هذا، هذا الغاسق إذا وقب »(١).

قال أصحاب القول الأول ـ وهو آية الليل إذا ولج: هذا لا ينافى قولنا ؛ لأن القمر آيةُ الليل ،ولا يوجد له سلطان إلا فيه ، وكذلك النجرم لا تضىء ، إلا فى الليل ، فهو يرجع إلى ما قلناه ،والله أعلم.

وقوله :﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ قال مجاهد ، وعكرمة ،والحسن، وقتادة والضحاك: يعنى: السواحر ـ قال مجاهد : إذا رقين ونفثن فى العقد . وروى ابن جرير عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : ما من شىء أقرب من الشرك من رقية الحية والمجانين(٢) . وفى الحديث الآخر : أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : اشتكيت يا محمد ؟ فقال : «نعم». فقال :باسم الله أرْقِيك ،من كل داء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وعين ،الله يشفيك(٣).

ولعل هذا كان من شكواه ، عليه السلام ، حين سحر ، ثم عافاه الله تعالى وشفاه ، ورد كيد السحرة الحسَّاد من اليهود فى رؤوسهم ، وجعل تدميرهم فى تدبيرهم ، وفضحهم ، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يوما من الدهر ، بل كفى الله وشفى وعافى .

وروى البخارى عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ سُحر ، حتى كان يُرَى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ـ قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر ، إذا كان كذا ـ فقال : « يا عائشة ، أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيتُه فيه ؟ أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رجلى، فقال الذى عند رأسى للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب .قال : ومن طبَّه ؟ قال: لَبيد بن أعصم ـ رجل من بنى زُرَيق حَليف اليهود ، كان منافقًا ـ قال : وفيم ؟ قال : فى مُشط ومُشاطة . قال : وأين؟ قال: فى جُف طَلْعَة ذكر تحت رعوفة فى بئر أرْوَان » . قالت : فأتى البئر حتى استخرجه فقال: « هذه البئر التى أريتها ،وكأن ماءها نُقَاعة الحنَّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين » . قال : فاستخرج فقلت : أفلا ؟ أى: تَنَشَّرْتَ ؟ فقال: « أمَّا اللهُ فقد شفانى، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً ». وفيه : « قالت : حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشىء ولم يفعله » . وعنده : « فأمر بالبئر فدفنت » . وقد رواه مسلم . ورواه الإمام أحمد عن عائشة قالت : لبث رسول الله ﷺ ستة أشهر يُرى أنه يأتى ولا يأتى، فأتاه ملكان ، فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه ، فقال أحدهما للآخر : ما باله ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، وذكر تمام الحديث(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝ ﴾

هذه ثلاث صفات من صفات الرب ، عز وجل ؛ الربوبية ، والملك ، والإلهية ، فهو رب كل

(١) المسند (٦/ ٦١) والترمذى (٣٣٦٦) والنسائى فى الكبرى (١٠١٣٨) .
(٢) ابن جرير فى التفسير (٣٠ / ٢٢٧) . (٣) مسلم (٢١٨٦ / ٤٠) .
(٤) البخارى (٥٧٦٦ ، ٥٨٦٣ ، ٦٣٩١) ومسلم (٢١٨٩ / ٤٣) وهو فى المسند (٩٦١٦).

شيء ومليكه وإلهه ، فجميع الأشياء مخلوقة له ، مملوكة عبيد له ، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات ، من شر الوسواس الخناس ، وهو الشيطان الموكل بالإنسان ، فإنه ما من أحد من بنى آدم إلا وله قرين يُزَين له الفواحش ، ولا يألوه جهداً فى الخبال . والمعصوم من عَصَم الله، وقد ثبت فى الصحيح أنه:« ما منكم من أحد إلا قد وُكِل به قرينه ». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: « نعم، إلا أن الله أعاننى عليه ، فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير »(١) ، وثبت فى الصحيحين ، عن أنس فى قصة زيارة صفية للنبى ﷺ وهو معتكف ، وخروجه معها ليلاً ليردها إلى منزلها ، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا ، فقال رسول الله: « على رسلكما ، إنها صفية بنت حُيى». فقالا : سبحان الله ، يا رسول الله . فقال :« إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ،وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئاً ، أو قال: شراً » (٢) . وروى الإمام أحمد عن أبى تميمة عن رَديف رسول الله ﷺ قال : عثَر بالنبى ﷺ حمارهُ ، فقلت: تَعِس الشيطان. فقال النبى ﷺ: « لا تقل: تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت : تعس الشيطان، تعاظم ، وقال : بقوتى صرعته ، وإذا قلت : باسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب». تفرد به أحمد (٣) . إسناده جيد قوى، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغُلِب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب . وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا كان فى المسجد، جاءه الشيطان فأبس به كما يُبِس الرجل بدابته ، فإذا سكن له زنقه ـ أو: ألجمه ». قال أبو هُرَيرة : وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلاً ـ كذا ـ لا يذكر الله ،وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله ، عز وجل . تفرد به أحمد (٤) .

وقال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ ،قال : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خنَس . وكذا قال مجاهد ،وقتادة .وقال المعتمر ابن سليمان ، عن أبيه : ذُكِرَ لى أن الشيطان ، أو : الوسواس ينفث فى قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح ، فإذا ذكر الله خنس . وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله: ﴿ الْوَسْوَاسِ ﴾ قال : هو الشيطان يأمر ، فإذا أطيع خنس.

وقوله : ﴿ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ﴾: هل يختص هذا ببنى آدم ـ كما هو الظاهر ـ أو يعم بنى آدم والجن ؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا فى لفظ الناس تغليبا .وقال ابن جرير : وقد استعمل فيهم (رجَالٌ منَ الجن) فلا بدع فى إطلاق الناس عليهم .

وقوله : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ هل هو تفصيل لقوله : ﴿ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ﴾ ، ثم بينهم فقال : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ وهذا يقوى القول الثانى. وقيل قوله: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ تفسير للذى يُوسوس فى صدور الناس ، من شياطين الإنس والجن ،كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢]. وكما روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى أحدث نفسى بالشىء لأن أخر من

---

(١) مسلم (٢٨١٤ / ٦٩) .

(٢) مسلم (٢١٧٤ / ٢٣) ، ورواه البخارى (٢٠٣٥، ٦٢١٩ ، ٧١٧١) عن صفية .

(٣) المسند (٥/ ٥٩) .

(٤) المسند (٨٣٥٢) وقال الهيثمى فى الزوائد (١/ ٢٤٥): «رجاله رجال الصحيح»، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر .

السماء أحب إلى من أن أتكلم به . قال: فقال النبى ﷺ : «الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة » .ورواه أبو داود والنسائى[1] .

آخر التفسير ولله الحمد والمنة

obeikandl.com

(١) المسند (٢٠٩٧) وأبو داود (٥١١٢) والنسائى فى الكبرى (١٠٥٠٣) وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح » .

obeikandl.com

فهرس المسانيد

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس المسانيد

«أ»

* إبراهيم ٣/ ٦١٢ .
* أبى بن كعب ١/ ٤٨، ٥٢، ٢٧٥، ٥٠٧، ٢/ ٤٢٧، ٤٣٠، ٣/ ٤٩، ٦٠، ١١٨، ٢٢٣، ٣٠٠، ٥٥٧، ٥٩٣، ٦١٩، ٦٢٨، ٦٣١، ٦٤٠ .
* أحمد بن الحسين بن على ٣/ ٦٠ .
* أسامة بن زيد ١/ ١٠٩، ١٤٣، ٣٩٦، ٦٠٥، ٢/ ١٢٥، ٣/ ١٥، ٤٦ .
* أسامة بن عمير ١/ ٥٥ .
* إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ٣/ ٤٦ .
* أسماء بنت أبى بكر ١/ ٢١١، ٢/ ٣٢٩، ٣٧٩، ٣٨٣ .
* أسماء بنت يزيد بن السكن ١/ ١٨٤، ٢٧٨، ٥٤٦ .
* الأسود بن سريع من بنى سعد ١/ ٥٩، ٢/ ٦٣، ٣٧٤ .
* أبو الأسود الديلى ١/ ١٧٤، ٣/ ٦١٠ .
* أبو أسيد ١/ ٢٦١، ٢/ ٥٦، ٣/ ٥٣ .
* أسيد بن حضير ١/ ٦٨ .
* الأشعث بن قيس ٣/ ٤٦٩ .
* الأقرع بن حابس ٣/ ٣١٤ .
* أبو أمامة الباهلى ١/ ٦٩، ١٦٨، ٢٧٨، ٣١٤، ٣٥٦، ٣٧٦، ٥٥١، ٦٣٠، ٧١٣، ٢/ ٨٥، ١٧٦، ٣٤٩، ٣٨٠، ٤٥٠، ٥٩٩، ٣/ ٥٩٣ .
* أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ١/ ٤٩٩ .
* أنس بن مالك ١/ ٥١، ٥٥، ٩٤، ١٧٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٦، ٢٣٩، ٢٥٢، ٢٧٦، ٢٨١، ٣٠٦، ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٧٨، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٦٢، ٣٦٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٠١، ٤٣٥، ٤٥٣، ٤٦٨، ٤٧٥، ٤٩٤، ٤٩٨، ٥٤٠، ٥٥٠، ٥٧٧، ٥٨١، ٦٠٤، ٦٣١، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٥٣، ٦٦٩، ٦٨٨، ٧٤٣، ٢/ ٤٨، ٦٣، ٧٣، ٧٤، ٩٩، ١٢٣، ١٧٢، ٢٧٠، ٢٨٧، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧٨، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٢٣، ٤٦٣، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٤٠، ٥٤٣، ٥٦٧، ٥٧٦، ٥٨٢، ٥٩٥، ٣/ ٢٧، ٣٤، ٤٧، ٥١، ٥٥، ٥٧، ٩٢، ١١٦، ١٤٠، ١٥٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٨٠، ٢٠٩، ٢١٢، ٢٢٦، ٢٨٩، ٢٩٨، ٣٠٦، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٦، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٩٨، ٤١٣، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٣٨، ٥٩٩، ٦٣١، ٦٤٠، ٦٥٣، ٦٦٨ .
* أنس بن النضر ٣/ ٣٥ .
* أوس بن أوس الثقفى ٣/ ٦٢، ٤٥٧ .
* أوس بن حذيفة ٣/ ٣٢٣ .
* إياس بن عبد الله بن أبى ذباب ١/ ٤٤٤ .
* أبو أيوب الأنصارى ١/ ٢٧٦، ٤٣٥، ٢/ ٨٩، ٣/ ١٧٣، ٤٨٥ .

«ب»

* أبو البحترى ١/ ٦٣٠ .
* البراء بن عازب ١/ ١٧٢، ١٨٣، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٨٩، ٣٧٨، ٤٢٥، ٤٨٢،

٤٩٣، ٥٤٣، ٥٩٩، ٦٤١، ٢/٧، ١٨، ١٩، ١٣٧، ٢٠٦، ٣٠٤، ٤٠٨، ٥٢٦، ٦٠٨، ٣/١٩ ، ٢١٢، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٩، ٣٩٣، ٥٩٣، ٦٢١، ٥٤١ .

* أبو برزة الأسلمى ٣/٤٥ .
* بريدة بن الحصيب ١/٦٩، ٢١٠، ٢٦٥، ٣٠٠، ٣٥٨، ٥٥١، ٥٦٣، ٦٣٦، ٦٤١، ٢/١٢٥، ٥٨٧، ٣/ ٦٤، ٨٦، ٤٠٩ .
* أبو بريدة ٣/ ١٣ .
* بسر بن أرطاة ١/١٤٧، ٢/ ٤١٠ .
* بسر بن جحاش ٢/٣٢٨ ، ٣/ ١٢٠، ٥٧٣ .
* بشير بن الخصاصية ١/٢٠٧ .
* بشير بن سعد ٣/ ٦٠ .
* أبو بكر ١/١٤٧، ٣٧١، ٥٠٩، ٦٥٨، ٣/ ٢٥٥.
* أبو بكرة ١/٤٤٢، ٤٦٣، ٢/١٢٩، ١٤٤، ٥٢٢، ٦٢٢، ٣/٢٨٥، ٣١٦، ٣٥٦ .

«ت»

* تميم الدارى ١/٦٣٨، ٢/ ١٤١ .
* أبو تميمة ١/ ٥٥ .

«ث»

* ثابت بن الضحاك ١/ ٤٣٣ .
* ثعلبة بن الحكم ٢/ ٤٦١، ٣/ ٩٨ .
* أبو ثعلبة الخشنى ١/٥٥٨، ٦٥٨، ٧١٦ .
* ثوبان مولى رسول الله ﷺ ١/ ٢٥٠، ٣٩٤، ٢/١٤٣، ٣١١، ٣/٢٨٥، ٤٧٤ .

«ج»

* جابر بن سمرة ١/ ٥٧٤ ، ٣/١٢٣، ٤٥٩ .
* جابر بن سليم ٢/ ٦٦٣ .
* جابر بن عبد الله ١/ ٥١، ٥٩، ١٣٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٨٢، ٢٠٠، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٩٥، ٣٣٧، ٣٥١، ٣٥٤ ، ٣٧٦، ٣٨٩، ٤١٢، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٤، ٤٤٤، ٤٦٢، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٤٣، ٥٥٤، ٥٦٠، ٥٦٣، ٥٦٩، ٥٧٧، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٩، ٦٢٤، ٦٤٩، ٦٥١، ٧٢٩، ٧٣١، ٧٣٣، ٢/٢٢ ، ٥٨ ، ٣٣ ، ١٢٢ ، ١٦٨، ١٩٥، ٢٤٨ ، ٢٩١، ٢٩٦، ٣٢٩، ٣٤٢ ، ٣٦٤ ، ٣٩٥ ، ٤٥٠، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٧٧، ٥٨٠ ، ٧٢٣ ، ٣/١٦ ، ٤٠ ، ٦٣ ، ٨١ ، ١٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٣٣ ، ٢٢٥ ، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣١٩، ٣٦٨، ٣٨٥، ٤٢٨، ٤٥٩، ٤٦٣، ٥٢٩، ٥٣٩، ٥٤٢، ٥٧٢، ٥٨١، ٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٩، ٦١٣ ، ٦١٨، ٦٥٦ .
* جا. بن عتيك ١/ ٦٨٧ .
* جارية بن قدامة السعدى ١/ ٣٦٩ .
* جبلة بن حارثة ٣/ ٦٥٦ .
* جبير بن مطعم بن عدى ١/ ٤٤٠، ٢/١١٢، ١٣٧، ٣٥٠، ٣/٣٤٢، ٤٤٩.
* جبير بن نضير ١/ ٦٢٢.
* جُدامة بنت وهب ـ أخت عكاشة ٣/ ٥٦٩.
* جرير بن عبد الله البجلى ١/ ٢٢٢، ٤٠٥، ٦٢١ ، ٢/ ٤٨٢ ، ٥٧٩، ٣/ ٣٣٢ ، ٤٣٠، ٥٣٩.
* جعدة بن خالد بن الصمة ١/ ٦٢٥.

* أبو جمعة ١/ ٧٤.
* جندب الأزدى ١/ ١٣٦.
* جندب بن عبد الله ١/ ١٠١، ٢٣٥، ٤٣٣، ٥١٢، ٢/ ٥٤، ٦٦، ٣/ ١١٨، ٦١٦.
* جندب بن جنادة ١/ ٧٤١.
* جندب بن سفيان البجلى ١/ ٧١٦.
* جنيد بن سبع ٣/ ٢٩٩.

«حـ»

* ابن أبى حاتم ٣/ ٤٧٤.
* الحارث البكرى ٢/ ٣١، ٣/ ٢٧١.
* الحارث بن الحارث الأشعرى ١/ ٨٥.
* الحارث بن هشام ٣/ ٢١٨.
* حارثة بن وهب ٣/ ٤٩٥.
* حبيب بن أبى ثابت ١/ ٥٠٤.
* حبيبة بنت سهل الأنصارى ١/ ٢٠٥.
* أم حبيبة ١/ ٢٥٩.
* الحجاج بن عمرو الأنصارى ١/ ٢١٥.
* حذيفة بن أسيد الغفارى ١/ ٥٣٥، ٧٤١، ٢/ ٥٤٢، ٦٦٧، ٣/ ٢٥٠.
* حذيفة بن اليمان ١/ ١٠٢، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٣، ٢٣٧، ٣٠١، ٣٣٦، ٣٥٥، ٤٥٦، ٤٥٨، ٥٤٥، ٥٥٩، ٥٧٠، ٦٣٠، ٢/ ٦٦، ٧٤، ١٠٠، ٣٥٧، ٣/ ٣٠، ٦٩، ١٢١، ١٢٣، ١٣٩، ٤٣٧.
* الحسن ١/ ٢٩٦، ٤٨٥، ٢/ ١٦٧، ٣/ ٦٢.
* حسناء ابنة معاوية الصريمية ٣/ ٥٦٩.
* الحسين بن على ١/ ٩١.
* حكيم بن معاوية ٣/ ٢٨٣.
* حماد بن سلمة ٣/ ١٩.
* أبو حميد الساعدى ١/ ٣٨٥، ٢/ ٥٦، ٥٨٨، ٣/ ٦٠.
* أبو حنظلة الحذاء ١/ ٤٩٨.
* أبو حية البدرى ٣/ ٦٣١.

«خـ»

* خارجة بن زيد ١/ ٤٩٣.
* خالد بن أبى جبل العدوانى ٣/ ٥٩١.
* خالد الخزاعى ١/ ٦٨٩.
* خالد بن عرعرة ١/ ٥١٤.
* خالد بن عمير ٣/ ٣٦٠.
* خباب بن الأرت ١/ ٢٣٣، ٦٨٨، ٢/ ٤٥٧، ٦٧٢.
* خريم بن فاتك الأسدى ١/ ٧٤٤.
* خزيمة بن ثابت ١/ ١٠٩، ٢٤٢.

«د»

* درة بنت أبى لهب ١/ ٣٥٧، ٣/ ٣٢٠.
* أبو الدرداء ١/ ١٢٥، ٢٨٦، ٣٢٥، ٥٠٦، ٥٥٣، ٢/ ٥٧، ٨٣، ٤٠٨، ٤٥٣، ٣/ ٥٠، ٩٧، ٩٨، ١٥٠، ٢٨١، ٣٥٧، ٣٧١، ٤٨١، ٦٦٣.
* أبو الدهماء ٣/ ١٤٩.

«ذ»

* أبو ذر ١/ ٥٣، ١٢٠، ١٨٩، ٢٧٤، ٢٨٦، ٣٠٩، ٣٢٠، ٣٤٢، ٣٤٩، ٤٢٢، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٥٦، ٤٥٧، ٥٦١، ٥٨٥، ٦١٦،

obeikandl.com

٦٧٨، ٧١٣، ٧٣٥، ٧٤٣، ٧٤٤، ٨٦٨،
١١٨/٢، ١٨٥، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٤٤، ٢٨٨،
٢٩٧، ٣٦٣، ٥١٦، ٦٢١، ١١١/٣، ١٢١،
٣٥١، ٣٥٧، ٤٤٨، ٤٧٣.

«ر»

* أبو راشد الحبرانى ٣/ ١٧٠.
* رافع بن خديج ١/ ١٦٠، ٥٥٣، ٧٥٥.
* أبو رافع ١/ ٧١٦.
* ربعى ٣/ ١٢٠.
* الربيع بن أنس ٢/ ٧٠.
* ربيعة بن عامر ٣/ ٣٧٨.
* ربيعة بن عباد ٣/ ٦٦٠.
* ربيعة بن كعب الأسلمى ١/ ٤٧٥.
* رجل من أصحاب النبى ﷺ ٣/ ٤٢١.
* رجل من الأعراب ٢/ ٥٥.
* رجل من الأنصار ١/ ٤٨٦.
* رجل من بنى سليم ١/ ١٠١.
* رجل من بنى عامر ٣/ ١٥.
* أبو رزين العقيلى (لقيط بن عامر) ٢/ ٢٢٠، ٥١٢.
* رفاعة بن رافع الزرقى ١/ ٥٦٠، ٢/ ٩٢، ١٠٧، ٣/ ٣١٥.
* رويفع بن ثابت الأنصارى ٣/ ٦١.
* أبو ريحانة ١/ ٥١٩.

«ز»

* الزبير بن العوام ١/ ٤٧٢، ٢/ ٣٠٤، ٣/ ١٦٦، ١٦٧، ١٨٦، ٦٤١.
* زر ٣/ ٦٢٨.
* زَهْرَة بن معبد ٢/ ١٣٥.
* الزهرى ١/ ٤٤٠، ٢/ ١٥١.
* أبو زهير الثقفى ١/ ١٧٤.
* زياد بن لبيد ١/ ٦٢٣.
* زيد بن أرقم ١/ ٢٦٦، ٢/ ٢٢٥، ٤٠٢، ٤٦٣، ٦١١.
* زيد بن ثابت ١/ ٢٦٤، ٢٨٣، ٣٠٤، ٤٨٤، ٤٩٤، ٥٤٤، ٢/ ٤٨٣، ٣/ ٣٤.
* زيد بن خالد الجهنى ٣/ ٣٩٢.
* زيد بن مهلهل ١/ ٥٥٧.
* زينب بنت جحش ١/ ٢٥٩، ٢/ ٤٣٥.
* زينب بنت كعب بن عجرة ١/ ٢٦٩.
* زينب امرأة ابن مسعود ٢/ ٥٨٨.

« س »

* السائب بن يزيد الكندى ٢/ ٥٨٧.
* أبو السائب ٣/ ٥١٧.
* أبو السائب مولى عائشة بنت عثمان ١/ ٣٩١.
* سالم بن أبى الجعد ١/ ٤٨٩.
* سبرة بن معبد الجهنى ١/ ٤٣٠.
* سبرة بن فاكه ٢/ ٩.
* سراقة بن مالك ١/ ٣٥١.
* سعد بن مالك ١/ ١٠٩، ٢/ ٨٥.
* سعد بن أبى وقاص ١/ ١٩٥، ٢١٤، ٥٨٤، ٦٨٧، ٢/ ٢٦، ٤١٧، ٥٠١، ٥٣١، ٣/ ٢٦٨، ٣٢١.
* سعيد بن جبير ١/ ٤٧٤، ٤٨٨، ٢/ ١٠٥.
* أبو سعيد الخدرى ١/ ٤٩، ٥٢، ٥٥، ٨٣،

openkandil.com

٩٨، ١٠٧، ١٦٦، ١٧٤، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٦٨، ٣٦٢، ٣٧١، ٣٩٧، ٤٣٤، ٤٥٠، ٤٧٥، ٤٩٥، ٥١٠، ٥١٢، ٥٤٧، ٦١٦، ٦١٧، ٦٣٠، ٦٤٢، ٧٤٧، ٢/٢١، ٤٩، ٨٨، ١٠٦، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٣، ١٩٠، ٢٨٧، ٣١٩، ٣٤٢، ٤٠٨، ٤٣٥، ٤٤٦، ٤٧٢، ٤٨٢، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥١٠، ٥٢٣، ٥٥٨، ٥٧٩، ٥٨٦، ٦٨٢، ٣/٤٩، ٦٠، ٨٨، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٤، ١٦٣، ١٧٢، ١٨٠، ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٨١، ٣١١، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٨٤، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤٥٧، ٥٣٩، ٥٩٤، ٥٩٥، ٦٢٧، ٦٥٨، ٦٦٦.

* سعيد بن زيد ١/٥٥، ١٠٧، ٣/٦٦٣.
* سعيد بن عمرو ٣/٢٧٤.
* سعيد بن مرجانة ٣/٦٠٦.
* سعيد بن المسيب ١/٥٤٣.
* أبو سعيد بن المعلّى ١/١٧٦، ٢/٩٩، ٣٢٤.
* أبو سعيد مولى ابن عامر بن كريز ١/٤٨.
* سفيان بن عبد الله الثقفى ٣/٢١١.
* سلمان الفارسى ١/٢٠٢، ١١٢، ٤٠٢، ٢/٥٥، ١٢١.
* سلمى بنت قيس ٣/٤٤٣.
* سلمة بن الأكوع ٣/١٥١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤.
* سلمة بن قيس الأشجعى ١/٤٣٦.
* أبو سلمة بن عبد الرحمن ٣/١٧٠.
* أم سلمة ١/٥٤، ٥٥، ١٨١، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٦٠، ٢٥٧، ٣١٦، ٣٩٩، ٤٣٨، ٥٠٣، ٥٨٠، ٥٨٢، ٢/١٠٠، ١٠١، ٣/٤٣، ٣٤٢.
* سليم بن عامر ٢/١١٩، ٣٨٣.
* سليمان بن صُرد ٣/٣٦.
* سليمان بن عامر ٣/٦٠٧.
* سماك الحنفى ١/٤٩٩.
* سمرة بن جندب ١/١٩٢، ٣٠٦، ٤٦٦، ٤٩٦، ٢/١٥، ٧٥، ١٣١، ١٧٠، ٣٣٤، ٣٧٥.
* أبو سمية ٢/٤٥٤.
* سهل بن حنيف ٣/٣٠٦.
* سهل بن سعد الساعدى ١/٦٨، ٢٠٧، ٢٦١، ٣٧٩، ٤٠٢، ٤٩٣، ٢/١٤، ١٥٩، ٣١١، ٥٦٦، ٣/٢٠، ٥٣، ٥٤، ١٧٩، ١٨٠، ٢٤٠، ٢٨٤، ٣١٦، ٣٦٠، ٣٨٤، ٤٥٥، ٦٠٣.
* سهلة بنت سهيل (امرأة أبى حذيفة) ١/٤٢٦، ٣/٢٦.
* سويد بن هبيرة ١/٣٢٠.

« ش »

* الشخير ٣/٦٤٠.
* شداد بن أوس ١/٢٢٥، ٦٨٨.
* أبو شريح الخزاعى ١/١٩٢.
* أبو شريح العدوى ١/٣٥٠.
* شقيق ١/٤٥٨، ٢/١١٠.
* شهر بن حوشب ٢/٦١٧.

« ص »

* صفوان بن أمية ٢/١٥٤.
* صفوان بن عسال ١/٧٤١.
* صفوان بن مُحْرِز ٣/٤١٤.

obeikandl.com

* صفية بنت شيبة ٣/ ٤٢، ١٣٤ .
* صهيب ٢/ ١٩٦، ٥٣٩، ٥٨٦ .

«ض»

* ضمضم بن جوس اليمامى ١/ ٤٦٢ .

«ط»

* الطفيل بن سَخْبَرة ١/ ٨٤ .
* أبو الطفيل ٢/ ١٦٠ .
* أبو طلحة الأنصارى ٣/ ٦٠، ١٤٠ .

« ظ »

* ابن أبى ظبيان ٣/ ٢٦ .

«ع»

* عائشة ١/ ٥٥ ، ٩٠ ، ١٢٢ ، ١٥٤، ١٦٤ ، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٣ ، ١٨١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣، ٢٤٦، ٢٥٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨، ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٧، ٣٢١ ، ٣٧٣، ٤٢٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦١ ، ٤٧٤، ٤٧٥ ، ٥١٠، ٥١٢، ٥١٤، ٥١٥، ٥٢٤ ، ٥٥٩ ، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦، ٦٢٤، ٦٤٤، ٦٥٥، ٦٨٤، ٧٢٠، ٧٣٦، ٧٤٥، ٢/ ٩ ، ٦٨، ١٤١، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٩، ٣٤٢، ٣٦٧، ٣٧٦ ، ٤١١، ٤٢٣، ٥١٠، ٥٤٩، ٥٦٧، ٥٧٠، ٥٨١، ٥٨٢ ، ٥٨٨، ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٤٨، ، ٦٦٥، ٣/ ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٧، ٥٥، ٥٦، ٦١٨، ١٣٩، ١٤٨، ١٥٨، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٨، ٢٣٠، ٢٧١، ٢٩٠، ٣١٨، ٣٥٥، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٨، ٣٨٠، ٤٠٩، ٤١٣، ٤٢٩، ٤٤٤، ٤٥٨، ٤٩٣، ٥٠٩، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٦، ٥٧٦، ٥٨١، ٥٩٣، ٦١٠، ٦٢٣ ،٦٢٩، ٦٥٩، ٦٦٣، ٦٦٦، ٦٦٧ .
* عاصم بن عمر بن قتادة ١/ ٣١٨ ، ٦١٥، ٢/ ١٥١، ٣ / ٤٦٤ .
* عامر بن سعد عن أبيه ٣/ ٢٦٧ .
* عامر الشعبى ٣ / ٤٧٢ .
* عباد بن شرحبيل الغبرى ١ / ١٨٨ .
* عبادة بن الصامت ١/ ٥٠ ، ٦١، ٢٥٥، ٤٢٠، ٤٦٨، ٤٨٨، ٥٤٠، ٥٩١، ٦١٥، ٦٨٠، ٧٣٥، ٧٣٨، ٢/ ٨٥ ،١١١ ، ٤٤٦ ، ٥٦٢، ٣/ ٣٤٨، ٣٦٦، ٤٤٤، ٦٢٩.
* العباس بن عبد المطلب ٣/ ١٨٤ ، ٢٢٥ .
* عبد الرحمن بن أبزى ٣ / ٥٩٣ .
* عبد الرحمن بن البيلمانى ١ / ٤٢١ .
* عبد الرحمن بن زيد ١/ ٤٩٨ ، ٢/ ٩٧ ، ٣/ ٤٢٨ .
* عبد الرحمن بن أبى سعيد ١ / ٢٩٤ .
* عبد الرحمن بن سمرة ١ / ٢٤٤ .
* عبد الرحمن بن عثمان التيمى ٣ / ٦٥٠ .
* عبد الرحمن بن عوف ١ / ٥٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ .
* عبد الرحمن بن غنم ١ / ٣٨٣ .
* عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه ١/ ٣٩٠ .
* عبد الرحمن بن يعمر الديلى ١ / ٢٢ ،٢٢٧ .
* أبو عبد الرحمن ٣ / ١٧٠ .
* عبد الله بن أنيس الجهنى ١/ ٢٦٧ .
* عبد الله بن أبى أوفى ١/ ٣٤٢ ، ٢/ ١١٥،

١٧١ ، ٣/٣٦ ، ٦٣ ، ٢٩٢ ، ٣٠٩ .
* عبد الله بن بسر ٢ / ٥٧٧ .
* عبد الله بن أبى بكر ٢ / ١٥١ ، ٣/٢٩٣ .
* عبد الله بن حبيب ٣ / ٦٤١ .
* عبد الله بن أبى حدرد ١ / ٤٩١ .
* عبد الله بن جابر ١ / ٤٩ .
* عبد الله بن جبير ١ / ٣٧٨ .
* عبد الله بن جدعان ١/ ٣٤٧ .
* عبد الله الديلمى ٣ / ١٥٠ .
* عبد الله بن رواحة ١/ ٢٣٨ .
* عبد الله بن الزبير ١ / ٤٠١ ، ٣٨٠ ، ٢/ ٢٨١ ، ٣ / ١٨٦ ، ٣١٢ .
* عبد الله بن زمعة ٣ / ٦١١ .
* عبد الله بن السائب ١ / ٢٢٦ .
* عبد الله بن سرجس ٣/ ٢٨٤ .
* عبد الله بن سلام ٢ / ١٩١ .
* عبد الله بن الشخير ٣ / ٣٩٧ .
* عبد الله بن شقيق ١/ ٦٥ ، ٣/ ٣٥٢ .
* عبد الله بن عباس ١/ ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٨٥ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٦٣ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ٢١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، ٤١٤ ، ٤٢٠ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٦٩ ، ٤٧٨ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥١٤ ، ٥٣٩ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٩٥ ، ٦٢٤ ، ٦٣٣ ، ٦٣٨ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٥٤ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٧٣١ ، ٧٣٣ ، ٧٤٣ ، ٢/ ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٢ ، ٦٣ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١١٢ ، ١٢٣ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٥٥ ، ٢٩١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٥٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٩ ، ٥٠٦ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٨٥ ، ٦٤٥ ، ٦٤٩ ، ٦٧١ ، ٦٧٨ ، ٧١٣ ، ٧١٦ ، ٧١٩ ، ٧٢٣ ، ٧٢٨ ، ٣/ ١٤ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ، ٢٢٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣٣٩ ، ٣٥٥ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٥ ، ٤١١ ، ٤١٨ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٧٤ ، ٥٢٠ ، ٥٣٢ ، ٥٤٨ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٩٣ ، ٥٩٦ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٢٤ ، ٦٢٨ ، ٦٤٢ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦٨ .
* عبد الله بن عدى بن الحمراء ١/ ٣٥١ ، ٣/ ٢١٩ .
* عبد الله بن عمر ١/ ٥٩ ، ٧٤ ، ١١٧ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٧٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٩٣ ، ٤٠٦ ، ٤٢١ ، ٤٤٧ ، ٤٥٧ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٩١ ، ٥٠٢ ، ٥١٥ ، ٥٢٢ ، ٥٥٠ ، ٥٥٦ ، ٥٧٢ ، ٥٩٨ ، ٦٤٠ ، ٦٥٨ ، ٦٨٧ ، ٢/ ٦ ، ١٠ ، ٣٢ ، ٩٦ ، ١٦٤ ، ١٣٠ ، ٢٢٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٣٠٣ ، ٣٣٣ ، ٣٥٠ ، ٣٩٥ ، ٥٨٨ ، ٣/ ١٠ ، ١٤ ، ٥٧ ، ١٢٣ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٩ ، ٢٧٥ ، ٣٠٩ ، ٣٦٠ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٥ ، ٤٥٧ ، ٤٧١ ،

٥٠٤، ٥٦٧، ٥٧٢، ٥٧٥، ٥٩٢ ، ٦٢٨، ٦٢٩ ، ٦٥٤، ٦٥٦ .

* عبد الله بن عمرو بن العاص ١/ ٨٣ ، ٢٠٣، ٢٣٨ ،٣١٦ ، ٣٥٤، ٣٧١، ٣٨٦، ٣٩٥، ٤٣٦، ٤٨١، ٥٣٤، ٥٤٦، ٥٨٧، ٥٩٢، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٩٣، ٧٤٢، ٢/ ٦٨، ١٠٠، ١٥٤، ١٥٩، ٢٢٠، ٢٨٥، ٣٥١، ٤٩٣، ٥٣٦، ٦٢١، ٦٦٨ ، ٧٠١، ٣/ ٥٠، ٦١، ٦٧، ٦٩، ٨٤، ٩٠، ١٠٥، ١٥١، ٢١٩، ٢٨١، ٢٨٥، ٣١٦، ٣٣٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٦٦، ٣٦٧، ٤٠٥، ٤١٤، ٤١٦، ٤٢٩، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٨٢، ٥٩٤ ، ٦٣٤، ٦٥١ .

* عبد الله بن قيس الأشعرى ٢/ ١٥٨، ٣/ ٣٧٤، ٣٧٧ .

* عبد الله بن كعب بن مالك ٢ / ١٧٨ .

* عبد الله بن مسعود ١/ ٥٢ ، ٦٣، ٦٨ ، ٧٠، ٨٤، ١١١، ١١٩، ١٢٠، ١٣٥، ١٨٥، ١٩٠، ٢٠٦، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٧، ٢٨٩، ٢٩٠ ،٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٩، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٩، ٣٧٧، ٣٩٣، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٥٠٤، ٥٠٨، ٥١٢، ٥٢٢، ٥٣٢، ٥٣٨، ٥٥٠، ٥٧٤، ٥٨٦، ٦٢٩، ٦٥٦، ٦٨٢، ٧١٦، ٧٢١، ٧٣٦، ٢/ ٦، ١٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ١٠٩، ١٣٧، ١٨١، ٢٤٤، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨٠، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨٣ ، ٣٩٨، ٤٣٥، ٤٥٥، ٤٨٣، ٤٨٥، ٥٠٤، ٥١٢ ، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٦٦، ٥٨٨ ، ٦٢٠ ،٧١٣، ٣/ ٧، ١٩، ٤٩، ٦٨، ١٥٧، ١٧٥، ٢٠٩، ٢٧٣، ٢٩٠، ٣٤٠، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٨٧، ٤٠٤، ٤١٤، ٤٢٦، ٤٧٤، ٤٧٩، ٥٢٣، ٥٢٨، ٥٤٨، ٥٩٣، ٦٠٤، ٦١٦، ٦٥٤ .

* عبد الله بن مغفلً ١ / ٥٥، ٢/ ٢٧ ، ٣/ ٢٨٩، ٢٩٨ .

* عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث ٢/ ١٥٤ .

* عبد الملك بن سعيد بن سويد الأنصارى ٢/ ٢٣٨ .

* عبيد الله وهو ابن عمر العمرى ٢/ ١٦٤ .

* أبو عبيدة بن الجراح ١/ ٢٨٥ .

* عتبة بن عبد السلمى ٣/ ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

* عتبة بن غزوان ٣/ ١٨٠ .

* عثمان بن عفان ١/ ٣٧١، ٥٦٦، ٥٦٩، ٧٣٧، ٢/ ١٦٥، ٢٤٤، ٥٨٧ .

* عدى بن حاتم ١/ ٦٤ ، ٢٠٥، ٣٤٣، ٥٥٧، ٧١٦ ، ٢/ ١٤٠، ٥٩٥ ، ٣/ ٦٣٥ .

* عدى بن عميرة الكندى ١/ ٣٤٢ ، ٣٨٥ .

* العرباض بن سارية ١/ ١٦٧ .

* عروة بن الزبير ٢/ ١٦٠ ، ٢٧٢ ، ٣ / ١٩٠ .

* عروة بن أبى الجعد البارقى ٢/ ١٢٠ .

* عُروة الفُقَيْمى ١ / ٢٠١ .

* أبو عزة ٣ / ١٥ .

* عطاء بن يسار ٣ / ٥٢ .

* عطية السعدى ١ / ٧٢ .

* عطية القرظى ١ / ٤١١ .

* عقبة بن عامر ١ /٢٢٧ ، ٢٥٤، ٣٠١ ، ٥٢٤، ٦٨٠، ٢/ ١٢٠ ، ٣٢٧، ٣/ ١١٦، ١٦٧، ٥٧٦، ٦٦٦ .

* عقبة بن مالك الليثي ١ / ٤٨٩ .
* عقبة بن نافع ١/ ٥٧١ ، ٢/ ٣٧٣ ، ٣/ ٢٤٣ .
* عكرمة ١/ ٦٣٤ ، ٣/ ٥٣٢ .
* عروة بن الزبير ٢ / ١٦٠ ، ٢٧٢ .
* أم العلاء ٢/ ٣٢٥ ، ٣/ ٢٢٦ .
* علقمة بن أبي وقاص ٢ / ٨٩ ، ٣/ ٢٧٤ ، ٦١٢ .
* علي بن الحسين ٣/ ٥٨٠ .
* علي بن أبي طالب ١/ ٢٠٧ ، ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٣٠، ٣٥٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٤١١، ٤١٧، ٤٦٨ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٢/ ١٢، ٤٢٥، ٥١٦، ٦٤٦، ٣/ ٢٢٨، ٢٣٦، ٣٤٤، ٤٣٥، ٥٩٣ ، ٦١٣ .
* عمار بن ياسر ١/ ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٦٦٥، ٢/ ١٦١ ، ٣/ ٣٨١ .
* عمارة بن خزيمة الأنصاري ١/ ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
* عمارة بن رويبة ٢/ ٤٨٢ .
* عمر بن الخطاب ١/ ١٧٤ ، ٢٠٧، ٢٤٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٧١، ٣٨٥ ، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٤٤ ، ٤٨١، ٤٩٨، ٥٣٩، ٥٤٣، ٥٦٩ ، ٦٣٧، ٦٣٨ ، ٦٨٥، ٢/ ١٢، ٦٤، ٩١، ١٧٨، ٥٥٢، ٦٧٦، ٣/ ٢٨، ٥١، ٥٧، ١٨٠، ٢٨٩ ، ٤٩٥ .
* عمر بن علي ٣ / ١٥ .
* عمر بن أبي سلمة ١ / ٥٦ .
* عمران بن حصين ١/ ١٧٩ ، ٢١٧، ٣٩٨، ٤٥٦، ٤٧٠، ٤٨٣، ٦٠٥، ٢/ ٣٢٥، ٥١٠، ٥٩٣ .
* عمرو بن الأحوص ١/ ٣٠٠ .
* عمرو بن جرير ١/ ٧٤١ .
* عمرو بن خارجة ١ / ١٩٣ .
* عمرو بن العاص ١/ ١٢٤ ، ١٨٨، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٦٣، ٣٨٥، ٤١٢، ٤٣٣، ٤٦٩، ٤٨٠، ٥١٢، ٢/ ١٥، ٥٨، ٤٩٨، ٥٥٦، ٥٨٧، ٣/ ٢٧، ١٧٤، ١٩٩، ٤٤٤، ٦٥٨ .
* عمرة بن مرة الجهني ١/ ٤٧٥ .
* عمرو بن عبسة ٣/ ٦٠٦ ، ٦٠٧ .
* عمرو بن قيس ٣ / ٥٠ .
* عمير بن قتادة ١/ ٤٣٤ .
* عوف بن مالك الأشجعي ١/ ٣٩١، ٣/ ١٢٢ .
* أبو عياش الزرقي ١ / ٥٠١ .
* عياض بن حمار المجاشعي ١/ ١٨٦ ، ٥٠٨، ٥٧٨، ٢/ ١٤ ، ٦٣ ، ٣٧٤ ، ٣٩٠ ، ٧٠٧، ٧٢٣ ، ٣/ ٦١٠ .

« ف »

* فاطمة بنت أبي حبيش ١/ ٢٤٨ .
* فضالة بن عبيد ١/ ٤٠٢ .
* فضالة بن عبيدة ٢/ ٣٥١ .
* فيروز ١/ ٤٢٨ .

« ق »

* قبيصة بن مخارق ٢/ ٦٤٦ .
* قتادة ١/ ٣٠١ .
* أبو قتادة الأنصاري ٢/ ٥٢٠ ، ٣/ ١٤٩ ، ٢٨١، ٤٥٧ .
* قتادة بن دعامة ٢/ ٢١٤ .
* قتادة بن النعمان ٢/ ٥٢٦ .

obeikandl.com

* قيس بن دعامة ١/ ٢٨١ .
* قيس بن سعد بن عبادة ١ / ٦٤٠ .
* قيس بن عاصم ١ / ٤٤٠ .
* قبيصة بن مخارق ٢ / ١٥٥ .

« ك »

* أبو كبشة الأنصارى ٢ / ٣٢ .
* كعب بن عجرة ١/ ٢١٦ ، ٣/ ٥٩ .
* كعب بن مالك ١/ ١٨٠ ، ٣/ ٣٩٤ .
* كلدة بن الحنبل ٢/ ٥٧٧ .
* أم كلثوم بنت عقبه ١/ ٥٠٦ .

« ل »

* أبو لبابة بن عبد المنذر ٢/ ١٠١ ، ٣٥٩ .
* لقيط بن صبرة ١/ ٥٦٩ .
* ابن أبى ليلى ٣ / ٥٩ .

« م »

* أبو مالك الأشجعى ١/ ٣٨٤ .
* أبو مالك الأشعرى ١/ ٥٧١ ، ٢/ ٣١٢ ، ٣/ ١٦٢ ، ٥٤٢ ، ٦٢٧ .
* مالك بن أنيس ١/ ٥٢٢ .
* مالك بن أوس ٣/ ٤٢٥ .
* مالك بن صعصعة ٢ / ٣٦١ ، ٣٦٦ .
* مالك بن نضلة ١ / ٦٥٧ ، ٢/ ٦٥٤ .
* أم مبشر ـ امرأة زيد بن حارثة ٢/ ٤٥٥ ، ٣/ ٢٩٥ .
* مجمع بن حارثة ١/ ٥٣٤ .
* محجن بن الأدرع ١ / ٢٠١ .
* أبو محذورة ١/ ٦١٨ .
* محمد بن عبد الرحمن أبى الأسود ١ / ٤٩٥ .
* محمد بن أبى عميرة ٣/ ٦٠٤ .
* محمد بن كعب القرظى ١/ ٧١١ ، ٢٧٣ ، ٥٨٨ .
* محمد بن مسلم بن بدر المكى ٣/ ٢٠٠ .
* محمود بن لبيد ٢ / ٤٣٨ .
* مرثد ٣ / ٦٢٧ .
* مروان بن الحكم ٣/ ٣٠٠ ، ٣٠٣ .
* مسروق ١/ ٣٨٩ ، ٥١٠ ، ٣/ ٣٥٢ .
* أبو مسعود الأنصارى ١/ ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ ، ٣٨٣ ، ٣/ ٦٠ ، ٤١٥ .
* أبو مسعود البدرى ١/ ٣٠١ .
* المستورد أخو بنى فهر ٢/ ١٤٧ ، ٢٨٦ .
* المسور بن مخرمة ٢/ ٥٥٨ ، ٣/ ٣٠٠ ، ٣٠٣ .
* المسيب بن حزن ٢/ ١٧٦ ، ٣/ ٢٩٧ .
* مصعب بن سعد عن سعد ٢/ ٢٤٨ .
* معاذ بن أنس الجهنى ٢/ ٧١٩ ، ٣/ ٣١٩ .
* معاذ بن جبل ١ / ٥٢ ، ٤٠٣ ، ٤٥٥ ، ٥٢٣ ، ٦٨٣ ، ٦٨٨ ، ٦٩٥ ، ٢/ ٢٧٠ ، ٣ / ١٩ ، ١٥٥ ، ٣٨٧ .
* أبو معاوية ٣ / ٣٤١ .
* معاوية بن أبى سفيان ١/ ٣٥٦ ، ٤٦١ ، ٤٨٩ ، ٢/ ٧٠ ، ٤٦١ ، ٣ / ٢٢٨ ، ٢٤١ .
* معاوية بن الحكم السلمى ١ / ٢٦٦ ، ٤٨٦ ، ٦٣٥ .
* معاوية بن جيْدَةَ القشيرى ١ / ١٠٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٤٤٤ ، ٣/ ٥٧٧ .

obeikandl.com

* معاوية بن حيدة ٣ / ٥٧٧ .
* معاوية بن أبي طلحة ١/ ٥٤٣ .
* معقل بن سنان الأشجعي ١/ ٢٥٩، ٣/ ٢٩٢، ٢٩٣.
* المغيرة بن شعبة ١/ ١٤٢ ، ٤٨١، ٢/ ٤٤٤ ، ٣/ ٢٠، ٢٩٠ .
* المقداد بن الأسود ١/ ٤٤٧ ، ٤٦٣، ٦٢٠ ، ٣/ ٥٧٦ .
* المقدام أبو كريمة ١/ ٥٢٤ .
* المقدام بن معد يكرب ١/ ٤٤٨ ، ٢/ ١٥، ٣/ ٢٨٠ .
* ابن أبي مليكة ٣/ ٣١٢ .
* أبو موسى الأشعري ١/ ٥١، ٧٥، ٢٠٢، ٢١١، ٢٤٤، ٢٥٥، ٢٧٨، ٣٠٥ ، ٣٧٦، ٤٠٢، ٦٣٦، ٧٠٨، ٢/ ٢٦، ٢٨، ٥٨، ٨١، ١٤٨، ٢٢٣ ، ٢٤١، ٢٨٣، ٣١٤ ، ٢٤٠، ٤٥٩، ٥٣٠، ٥٤٢، ٥٧٧ ، ٦٨٥ ، ٧١٩، ٣/ ١٠، ٨٦، ١٩٠، ٤٠٨، ٤٤٩، ٥٣٩ ، ٥٩٥ .
* ميمونة بنت الحارث ١ / ٢٤٠ .

« ن »

* نافع ٣ / ٣٦٦ .
* نافع بن خالد الخزاعي ١/ ٦٨٩ .
* نبيشة الهذلي ١/ ٢١٧ ، ٢٢٧ .
* أبو نضرة ١/ ٥٣٢ ، ٣/ ٢١٩ .
* النعمان بن بشير ١/ ٢٩٦، ٥٧١، ٥٧٢، ٢/ ١٠١ ، ٣/ ٩١، ١٩٩ ، ٥٩٣، ٥٩٧، ٦١٤.
* النعمان بن سالم ٣/ ١٧٦ .
* النعمان بن مقرن المزني ١/ ٦١٩ .
* النعمان بن سمعان ١/ ٦٣ ، ٦٩، ٥٣٣، ٧١٦، ٧٣٨، ٨٣٨، ٢/ ٥٠٣.

« هـ »

* أم هانئ ٣/ ٣٩٤ .
* أبو هريرة ١/ ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٧٠، ٧٧، ٨٧، ، ٨٨، ٩٢، ٩٧، ١٠٧، ١١٤، ١١٥، ١١٩، ١٢٩، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٠، ١٦٦، ١٩٦، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧ ، ٢١٧، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٥٥، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥٤ ،٢٧١، ٢٧٤، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٤١ ،٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٧، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٩٥، ٤٠٢، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٤٣، ٤٥٠، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٧، ٤٩٦، ٥٠٨، ٥١٠، ٥١٥، ٥٢٤، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٥٠، ٥٦٠، ٥٦٥ ،٥٧١ ، ٥٩٢، ٥٩٦، ٦٠٦، ٦٢٢، ٦٢٥، ٦٣٧، ٦٤٩، ٦٥٥، ٦٦٧، ٦٧٢، ٦٧٩، ٦٨٣، ٦٨٦، ٦٨٩، ٦٩٦، ٧٢٠، ٧٣٢، ٧٤٨، ٢/ ١٤ ، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٤٩، ٥٤، ٥٨، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٦٩، ٧٢، ٨٠، ٨١، ٨٢، ١٢٠، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٥، ١٧١، ٢٠٥، ٢٢٠، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٦٠،

٢٧٢، ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٦،
٣٢٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٧٠،
٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٦، ٣٩٤، ٣٩٦،
٣٩٧، ٤١٦، ٤٣١، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٥٠،
٤٥٢ ، ٤٥٥، ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٧٧، ٤٨٠،
٤٨٣، ٤٩٠، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥٠٧،
٥٠٩، ٥١٦، ٥١٧، ٥٣١، ٥٣٧، ٥٤١،
٥٤٨، ٥٦١، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٣، ٥٨٧،
٥٨٨، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٢٣، ٦٣٣، ٦٤٥،
٦٤٦، ٦٤٨، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٨٦،
٦٨٨، ٦٩٤، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٨ ، ٧٢٣،
٩/٣، ١٤، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢٨، ٣٦، ٤٤،
٤٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٩،
٨٣، ١٠٠، ١٠٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٦،
١٣٢، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٩، ١٧٤،
١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٧، ١٩٩،
٢٣٠، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٨٥ ، ٢٩٦،
٣١١، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣٢،
٣٤٠، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٢،
٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٧٥، ٣٨٤، ٣٨٦،
٣٨٧، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥،
٣٩٦، ٤٠٤، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٣،
٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٦٩، ٤٧٧،
٤٧٨، ٥٠٧، ٥١٠، ٥٣٩، ٥٤٢، ٥٥٣،
٥٦٤، ٥٦٧، ٥٧٣، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٨٠،
٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦١٠، ٦١٤، ٦١٧،
٦١٨، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٣٤، ٦٣٥،
٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٣، ٦٦٣،
٦٦٥، ٦٦٨ .

« و »

* أبو وائل ١/ ١٠١ .
* وائل بن حُجْر ١ /٦٦ .
* وائلة بن الأسقع ١/ ٦٩، ٤٩١ ، ٧٢٠.
* أبو واقد الليثى ١/ ٣٥١، ٢/ ٤٧، ٥٢٥.
* وحشى بن حرب ٢/ ٥٩٩ .
* أبو وداعة ١/ ٧٢٠ .
* ورّاد مولى المغيرة بن شعبة ٣/ ٨٨.

« ى »

* يحيى بن سعيد القطان ١/ ٤٩٨ .
* يزيد بن حيان ٣ / ٤٢ .
* أبو يزيد الخولانى ٣/ ٤٠٣ .
* يزيد بن رومان ٢/ ١٥١ .
* يزيد الفقير ١/ ٥٠١ .
* أبو اليسر ١/ ٣٠١ .
* يسير بن جابر ٢/ ٨١ .
* أبو يعفور ٢/ ٤٦ .
* يعلى بن أمية ١/ ٤٩٨ .

الأحاديث التى لم يذكر صحابيها :

* ١/ ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٦، ٧٦، ٩٦،
١٠٣، ١١١، ١١٨، ١٢١ ،١٢٤ ، ١٢٧،
١٣٠، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٦،
١٤٩، ١٥٠، ١٥٧، ١٥٩، ١٦١، ١٦٩،
١٧٠، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٩،
١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠،
٢٠١، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٢٨،
٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٥٦، ٢٨٠،
٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦،
٢٩٧، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١١، ٣١٤،
٣١٥، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٧،
٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٤٥، ٣٥٣،

openkanal.com

٣٥٥، ٣٦٢، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٧، ٣٨٢،
٣٨٣، ٣٨٧، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤١٢،
٤١٣، ٤١٥، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٤،
٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٦،
٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٣ ،
٤٥٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٧،
٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٥٠٠، ٥٠٩،
٥١٥، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٥٢،
٥٥٤، ٥٥٦، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٣، ٥٦٤،
٥٦٧، ٥٦٨، ٥٨١، ٥٩٩، ٦٣٩، ٦٤٩،
٦٥٣، ٦٥٤، ٦٦٦، ٦٩٠، ٦٩٢، ٧١٨،
٧٤٥، ٤/٢ ، ٧، ٤٧، ٢١، ٢٩، ٣٤، ٣٩،
٤١، ٥٢، ٥٦، ٥٧، ٦٦، ٦٧، ٧٢ ، ٧٦،
٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٨، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ١٠٢،
١٠٩، ١٢٢، ١٢٦، ١٣١، ١٣٥، ١٣٨،
١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٤،
١٥٨، ١٦١، ١٦٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٩،
١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٥،
٢٠٨، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢١،
٢٣١، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٨،
٢٤٩، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٧٨،
٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨ ، ٢٨٩،
٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧،
٢٨٩ ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣١٧، ٣٢٠،
٣٢٢، ٣٣٢، ٣٣٨ ، ٣٣٤، ٣٤٨، ٣٧٤،
٣٨٤، ٣٨٨، ٣٩٠، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٢،
٤١٣، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٣٧،
٤٣٩، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٤٩، ٥٣٦، ٥٣٨،
٥٤١، ٥٤٨، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٦٥، ٥٦٦،
٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠،
٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٧،
٥٨٨، ٥٩٠، ٥٩٤، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٠،
٦٠٢، ٦٠٧، ٦١٠، ٦١٣، ٦١٥، ٦١٦،
٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٤٥،
٦٤٧، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٣، ٦٥٨، ٦٦٥،
٦٦٨، ٦٦٩، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٩١، ٦٩٣،
٦٩٥ ، ٦٩٨ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٧ ،
٧٢١، ٧٢٣ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠،
٣/٤١، ٤٣، ٤٤، ٥٧، ٥٩، ٧٢، ٧٤،
٧٥، ٨١، ٨٤، ٩٠ ، ٩٨، ٩٩، ١٠٥،
١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٣٢، ١٣٦، ١٦٠،
١٨٣، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٣، ٢١١،
٢١٣، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥،
٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٥٠، ٢٦٣، ٢٦٧،
٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤،
٢٩٠، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦،
٣١٨، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨ ،
٣٣١، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٤٨، ٣٥٣،
٣٥٥، ٣٥٨ ، ٣٦٣، ٣٦٦ ، ٣٦٩، ٣٧٦،
٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٤ ،
٦٩٥ ، ٦٩٨ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٧ ،
٧١٥، ٧٢١ ، ٧٢٣ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٩،
٧٣٠ ، ٣٩٦، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٣،
٤٠٥، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٢،
٤٢٨، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٩،
٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٥٢،
٤٦٨، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٩، ٥٣٨، ٥٧٣،
٥٨٣، ٥٩١، ٥٩٣، ٦٠٥، ٦٠٧، ٦١٢،
٦١٥، ٦٢٠، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٣١، ٦٣٥،
٦٣٩، ٦٤١، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣،
٦٥٤، ٦٥٨، ٦٥٩ ، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٨.